الكتاب: الاستغاثة
المؤلف: أبو القاسم الكوفي
الجزء: ٢
الوفاة: ٣٥٢
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
ملاحظات: أبو القاسم الكوفي علي بن أحمد بن موسى ابن الإمام الجواد محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي إبن أبي طالب عليهم السلام

الاستغاثة
في بدع الثلاثة
لأبي القاسم الكوفي علي بن أحمد بن موسى بن الإمام
محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
عليهم السلام
المتوفى سنة ٣٥٢ هجرية
(الجزء الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الذين دخلت عليهم الشبهة في أمرهم بما وصفناه في هذه الأبواب ما قد أسفر من لوامع الحق وتبين فيه من وجوه الصدق، قد ركبنا الحجة فيما رواه أصحاب الحديث فيهم من الفضائل والمناقب التي بها يصولون وعليها في حسدهم يعولون (١) وذلك (مثل) روايتهم أن رسول الله صلى الله

---

(١) لقد أجحف أصحاب الحديث من أوليائهم فكانوا لهم مناقب وفضائل كيلا جزافا ورفعوهم فوق مستوى البشر ونحتوا لهم روايات ونسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفكار زور وقبلوا أحاديث كثيرة وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضل صهره ووصيه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام فزادوا فيها ونقصوا وغيروا وبدلوا ورووها في فضائل أوليائهم، ذلك ليرفعوا من شأنهم إلى رتبة الإمام علي (ع) الذي ورد عن النبي (ص) في فضله ما ملاء الخافقين بالرغم من إخفاء أعدائه فضائله ومناقبه بكل ما لديهم من حول وقوة، فترى ابن حجر الهيثمي في الصواعق والمحب الطبري في الرياض النضرة وغيرهما يروون عن النبي (ص) في فضائل أوليائهم ما تمجه الاسماع ولا يتفق مع المنطق الصحيح وكلها موضوعة مكذوبة على النبي (ص) ويتضح ذلك جليا لمن تتبع إسنادها فإن رجالها أكثرهم من أولياء بني أمية المستأجرين لهم ومن المشهورين بالنصب والعداوة لأهل البيت النبوي ومن المطلعون فيهم عند علماء الجرح والتعديل منهم وقد دسوا في الأحاديث أكاذيب إرضاء لشهوات أوليائهم مما لا يعد ولا يحصى، فهذا العلامة الفقيه الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي صاحب القاموس المتوفى سنة ٨٢٦ يحدثنا في كتابه سفر السعادة (ص ١٤٢ - ١٤٣) من طبع مصر سنة ١٣٣٢ ما هذا نصه: خاتمة الكتاب في الإشارة إلى أبواب روي فيها أحاديث وليس منها شئ صحيح ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث (ثم قال) أشهر المشهورات من الموضوعات أن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة (وحديث) ما صب الله في صدري شيئا إلا وصبه في صدر أبي بكر " وحديث " كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتاق إلى الجنة قبل شيبة أبي بكر " وحديث " أنا وأبو بكر كفرسي رهان " وحديث " إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر، وأمثال هذه المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل (انتهى ما ذكره) وقد وافقه على ذلك كثير من الأساطين المنقبين في مؤلفاتهم التي ألفوها في ذكر الأحاديث الموضوعة كالسيوطي في اللئالئ المصنوعة وابن الجوزي في الموضوعات والمقدسي في تذكرة الموضوعات والشيخ محمد بن درويش الشهير بالحوت البيروتي في شتى المطالب وغيرهم، فهلا في ذلك مقتنع لمن أنصف وتدبر يا أولي الألباب الكاتب

عليه وآله وسلم أمر بتقديم أبي بكر للصلاة في مرضه الذي توفي فيه، فاحتج بذلك محجتهم وقال لما رضيه رسول الله لديننا رضيناه لدنيانا
(ومثل) روايتهم وحجتهم في قول الله تعالى " ثاني اثنين " إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " وهذه فضيلة ليست ولا لمثلها لأحد إذ سماه الله صاحبا لرسوله (ص)
" ومثل " روايتهم أن أبا بكر وعمر كانا وزيري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
(ومثل) روايتهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما نفعني مال كمال أبي بكر لقد زوجني ابنته وأنفق علي أربعين ألف دينار – أو قال درهما –
ومثل روايتهم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر (١)

---

(١) قال العلامة المحدث الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي في أسنى المطالب " ص ٤٨: " خبر اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر. رواه أحمد والترمذي وحسنه واعله أبو حاتم وقال البرار كابن حزم لا يصح (الكاتب)

ومثل روايتهم هذان سيدا كهول أهل الجنة (١)
ومثل روايتهم أن رسول الله (ص) قال ليؤمكم أفضلكم وأعلمكم قالوا فلما اختاره المسلمون واجمعوا عليه للإمامة دل ذلك منهم على أنه أعلمهم وأفضلهم.
ومثل روايتهم أن الرسول قال لما أسري بي إلى السماء رأيت مكتوبا على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين (٢)

---

(١) قال العلامة الخبير الشيخ محمد الحوت في أسنى المطالب ص ١٢٣ خبر سيدا كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر وأن أبا بكر في الجنة مثل الثريا في السماء فيه يحيى بن عنبسة ذكره الذهبي في الضعفاء قال ابن حيان دجال يضع الحديث

(٢) أورد الحديث السيوطي في اللئالئ المصنوعة ص ١٦٥ وفي سنده أبو بكر عبد الرحمن بن عفان الصوفي قال السيوطي أبو بكر وشيخه كذابان وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ص ١١٣ عبد الرحمن بن عفان كذبه يحيى ابن معين، وقال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ج ٣ ص ٤٢٣ من طبع حيدر آباد عبد الرحمن بن عفان السرخسي سكن بغداد يروي عن السماع والفضل بن عياض الرقاق والحكايات، قال ابن الجنيد سمعت يحيى بن معين وذكر أبا بكر بن عفان ختن مهدي بن حفص فقال كذاب مكذوب رأيت له حديثا حدث به عن أبي إسحق الفزاري كذبا قلت وله خبر آخر عن محمد بن محمد بن الصائغ عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرفوعا لما أسري بي رأيت على العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين يقتل ظلما رواه الختلي في الديباج عنه والمتهم به صاحب الترجمة " انتهى ومراده بصاحب الترجمة عبد الرحمن ابن عفان

ومثل روايتهم أن الرسول " ص " قال يوم بدر حين أنزل الله " لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم " فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو أنزل من السماء عذاب ما نجا منا غير ابن الخطاب

" ومثل " روايتهم أن الرسول " ص " قال ما أبطأ عني الوحي إلا ظننت أنه نزل على عمر

(ومثل) روايتهم أن الشيطان كان يهرب من عمر ويخاف من حسه

ومثل روايتهم أن السكينة تنطق على لسان عمر

ومثل روايتهم أن الشيطان كان لا يأمر بالمعاصي في أيام عمر كراهة أن ينهى عنها عمر فلا يعود فيها أحد من بعد نهيه

ومثل روايتهم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لو لم أبعث فيكم لبعث عمر بن الخطاب (١)

ومثل روايتهم أن عمر نادى قوما بنهاوند وهو يومئذ بالمدينة وكان قد بعث جيشا وقدم عليه رجلا يقال له سارية إلى نهاوند فوقعت عليهم الهزيمة بنهاوند وعمر يخطب على المنبر بالمدينة فنظر إليهم عمر فصاح يا سارية الجبل قال سارية فسمعت صوت عمر فالتجأت مع أصحابي إلى الجبل فسلمنا (٢)

ومثل روايتهم أن الرسول " ص " قال اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين

---

(١) قال العلامة الشيخ محمد بن درويش الحوت في أسنى المطالب ص ١٨٤ خبر لو لم أبعث لبعث عمر موضوع نص عليه الحافظ ابن حجر

(٢) قال العلامة الشيخ محمد بن درويش الحوت في أسنى المطالب ص ٢٦٥ خبر يا سارية الجبل هو من كلام عمر قاله على المنبر حين كشف له عن سارية وهو نهاوند من أرض فارس، روى قصته الواحدي والبيهقي بسند ضعيف وهم في المناقب يتوسعون الكاتب

إليك بعمر بن الخطاب أو بابي جهل بن هشام فسبقت الدعوة لعمر (١)
" ومثل " روايتهم عن عبد الله بن مسعود أنه قال لما مات عمر ذهب تسعة أعشار العلم (٢)
ومثل روايتهم أن الله جل اسمه لم يعبد علانية حتى أسلم عمر وشهر سيفه وقال لا يعبد الله سرا بعد اليوم
ومثل روايتهم أن شاعرا كان عند رسول الله (ص) ينشده إذ أقبل عمر إلى رسول الله (ص) فأشار رسول الله (ص) إلى الشاعر أن اسكت حتى إذا خرج عمر من عنده استعاده الرسول ص النشيد وأن عمر عاد إلى الرسول ص فأشار إلى الشاعر أن اسكت حتى فعل ذلك ثلاث مرات فلما كان في الرابعة وخرج عمر من عنده استعاده الرسول ص النشيد فقال الشاعر يا رسول الله من الذي إذا جاء أسكتني وإذا خرج استنشدتني فقال صلى الله عليه وآله وسلم هذا رجل لا يحب الباطل - أو قال يكره الباطل -
ومثل روايتهم أن الرسول ص شهد لعشرة من أصحابه بالجنة منهم أبو بكر وعمر
ومثل روايتهم أن رسول الله ص قال لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا من ذهب (وفي رواية أخرى) قصرا أبيض فأعجبني فقلت لمن هذا القصر فقيل لي لفتى من قريش فقلت من هو قيل

---

(١) أخرج هذا الحديث الترمذي والطبراني عن ابن مسعود وأنس عن النبي (ص) كما ذكره ابن حجر الهيثمي في الصواعق ولكن ابن مسعود وأنسا حالهما في الضعف معلوم
(٢) ذكره ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ٥٩ وقال أخرجه الطبراني والحاكم عن ابن مسعود ولكن بلفظ لو أن علم يوضع في كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم (الكاتب)

عمر بن الخطاب فما منعني أن أدخله إلا ما أعرفه من غيرتك يا عمر فبكى عمر عند ذلك وقال وعلى مثلك يغار يا رسول الله (١)
ومثل روايتهم أن أهل الجنة ليتراؤن في عليين كما يتراءى الكوكب الدري لأهل الأرض وإن أبا بكر وعمر لمنهم (٢)
ومثل روايتهم أن عثمان كان أقرب الناس مجلسا من رسول الله " ص " بحيث تمس ركبتاه ركبتيه، فلما توفيت زوجته رقية بنت رسول الله – ص جلس في طرق البساط فمر به عمر فقال مالك يا بن عفان نزلت عن مجلسك فقال اليوم انقطع صهري فعرفت نفسي فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فزوجه زينب أخت رقية بنت رسول الله ص فعاد إلى مجلسه فلما توفيت زينب قال رسول الله ص لو كانت لنا ثالثة لزوجناكها – أو قال ما عدوناك (ومثل) روايتهم أن عثمان جهزه جيش العسرة بمال عظيم من ماله (٣)

---

(١) ذكره ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ٥٩ بتغيير يسير وقال أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه عن أنس، وأحمد والشيخان عن جابر، وأحمد عن بريدة وعن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الحديث " قلت يلوح على هذا الحديث آثار الوضع كما لا يخفى على أولي البصيرة (الكاتب)

(٢) ذكر هذا الحديث المقدسي في تذكرة الموضوعات ص ٢٧ بلفظ إن أهل الجنة ليرون أهل عليين وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما، ثم قال فيه مجاهد بن سعيد ضعيف، وذكره أيضا ابن حجر في الصواعق ص ٤٦ بلفظ إن النبي ص قال إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما، وقال رواه ابن عساكر عن ابن عمر وعن أبي هريرة قلت " وحال ابن عمر وأبي هريرة معلوم فلا يعتمد على ما يرويان الكاتب

(٣) روى ذلك المحب الطبري في الرياض النضرة عند ترجمته لعثمان وابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة في ترجمته أيضا عن عبد الرحمن الجناب وعن عبد الرحمن بن سمرة وقال أخرجه الترمذي والحاكم وصححه وذكره أيضا البغوي في مصابيح السنة في ترجمته

ومثل روايتهم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال من يشتري بئر رومة وله الجنة فاشتراها عثمان من ماله وجعلها للناس سبيلا (١)
ومثل روايتهم أن عثمان حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دنانير كثيرة فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقلبها بيده ويقول ما على ابن عفان ما فعل بعد هذا (٢)
ومثل روايتهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يوما جالسا في حجرته فدخل عليه جماعة من أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر ورسول الله

---

(١) رواه ابن حجر في الصواعق عن أبي هريرة وقال أخرجه الحاكم ورواه أيضا المحب الطبري في الرياض النضرة عن بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه وقال إن عثمان اشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ورواه أيضا البغوي في المصابيح
(٢) قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ٦٥ أخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن جناب قال شهدت النبي (ص) وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله علي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله (ص) وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه، وروي أيضا عن عبد الرحمن بن سمرة أن عثمان جاء إلى النبي (ص) بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره رسول الله يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم، ورواه أيضا المحب الطبري في الرياض النضرة مثل ذلك الكاتب

مكشوف الفخذ لم يغط فخذه حتى دخل عثمان فغطى فخذه فقيل يا رسول الله صلى الله عليك وآلك لم ذلك فقال ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة (١)
ومثل روايتهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عمر سراج أهل الجنة في الجنة (٢)

---

(١) ذكر هذا الحديث كل من ابن حجر في الصواعق والمحب الطبري في الرياض النضرة والبغوي في مصابيح السنة في مناقب عثمان وقالوا أخرجه الشيخان وأحمد وأبو حاتم ورزين كلهم عن عائشة بنت أبي بكر. ليت شعر ما الذي رأت من عثمان - إن كان ما روت فيه صحيحا - حين حرضت على قتله يوم الدار قائلة بملأ فيها اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا فلقد غير سنة النبي (ص) أفلا كان الأحرى بها أن تقتدي بالنبي (ص) فتستحي ممن تستحي منه الملائكة، فهل من المعقول أن يعتمد على مثل هذه الروايات الغريبة فاحكم وأنصف

(٢) ذكر هذه الحديث ابن حجر في الصواعق ص ٥٨ وقال أخرجه البزار عن ابن عمر وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة وابن عساكر عن الصعب بن جثامة، وذكره أيضا المحب الطبري في الرياض النضرة في ترجمة عمر (ثم قال) ومعنى ذلك والله أعلم أن الجنة هم المؤمنون وكانوا قبل إسلام عمر في ظلمة ظلم الكفار من قريش فلما أسلم عمر أنقذهم من ظلمهم وأظهر شعار الاسلام فإن فائدة السراج ضوءه في الظلمة والجنة لا ظلمة فيها فكان معناه ما ذكرناه (انتهى بحروفه) ولعمري أن هذا التفسير مما يضحك الثكلى لو كان الحديث صحيحا ولكنه من الموضوعات فلا يحتاج إلى التجشم في تفسيره بالتافهات فقد قال العلامة الخبير الشيخ محمد بن درويش الحوت في أسنى المطالب ص ١٤٤ إن خبر عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة، فيه عمر الواقدي وهو مالك وساقط عند المحدثين
الكاتب

ومثل روايتهم أن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر وعمر وعثمان ثم علي، فزعموا أن أبا بكر أفضل من عمر وعثمان وغيره وأن عمر أفضل من عثمان بعد أبي بكر، ثم منهم من ساوى بين عثمان وعلي عليه السلام ومنهم من فضل عثمان على علي عليه السلام ويشهدون للعشرة أنهم من أهل الجنة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح

ومثل روايتهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

ومثل روايتهم في قول الله عز وجل " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم " قالوا أبو بكر وعمر من المهاجرين والأنصار الأولين (١)

ومثل روايتهم في تأويل قول الله عز وجل (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قالوا العشرة ممن بايعوا تحت الشجرة وممن رضي الله عنهم وهم أهل الجنة

ومثل روايتهم في قول الله عز وجل (والذي جاء بالصدق وصدق به) أن ذلك كان أبا بكر سماه الله صديقا

ومثل روايتهم في تأويل قول الله عز وجل (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) إلى قوله " وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى " قالوا هذا أبو بكر

---

(١) ذكر ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ١٣٩ اثنتي عشرة آية من آيات القرآن المجيد وقال إنها نزلت في أبي بكر فاقرأ واعجب فإن أكثرها نزلت في فضل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ما ذكره ثقات المفسرين

ومثل روايتهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أوحى الله سبحانه إلي أن قل لأبي بكر أني عنك راض فهل أنت عني راض (١) (وكان الجواب) عن ذلك وبالله المستعان وعليه التوفيق، إن القوم قد رووا ذلك وهم ينقلونه بينهم، ومن ناصح نفسه وصح له تمييزه ونظر وتدبر في حقايق ما يروونه لم يشتبه عليه باطل جميع هذا وشبهه إذ كان كل باب منه فيه من أدلة الفساد ما لا يخفى على ذي فهم ونظر وتمييز وصحة فكر، والواجب على طالب النجاة أن يقصد في تحقيق الآثار وصحة الأخبار إلى معرفة الشواهد والعلامات والدلائل الواضحات التي يتحقق معها الحق ويبطل بها الباطل، فأول ما نبدأ به من القول في ذلك أنه قد علم ذو الفهم أن الآثار منقولة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أيامه وأيام من كان بعده من وجهين في الإمامة لا ثالث لهما (أحدهما) طرق أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم (والثاني) طرق الحشوية من أصحاب الحديث، فمن ادعى من جميع الأمة ممن تقدم في الأعصار السالفة غير هذين الوجهين فهو متخرص كذاب ضال مضل فاسد المعرفة داحض الحجة، وإذا كان ذلك كذلك فيعلم ذو الفهم أن ما كان يرويه الحشوية من طرق أهل البيت وشيعتهم ولم

---

(١) قال ابن حجر في الصواعق ص ٤٤ أخرج البغوي وابن عساكر عن ابن عمر قال كنت عند النبي (ص) وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبرئيل فقال يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال يا جبرئيل أنفق ماله علي قبل الفتح قال فإن الله يقرأ عليه السلام ويقول قل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أسخط على ربي راض أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض ثم قال ابن حجر وسنده غريب ضعيف جدا ثم قال أبو نعيم عن أبي هريرة وابن مسعود مثله وسندهما ضعيف أيضا وابن عساكر نحوه من حديث ابن عباس الكاتب

يرو ذلك أهل البيت وشيعتهم فلا حجة للحشوية ومن تابعهم في ذلك على مخالفيهم، وكذلك إذا رووا أهل البيت وشيعتهم آثارا من طرقهم وعن رجالهم المتصلين عن رجل من الحشوية ولم يرو ذلك الحشوية فلا حجة لشيعة أهل البيت في ذلك على الحشوية وإن كانت الرواية في نفسها كثيرة صحيحة محققة، وهذا هو وجه النصفة والنصيحة فإذا أجمعوا على رواية من طريقيهم المتضادين المختلفين فتكون تلك الرواية مما لا يشك في صحتها وعليها الفقهاء من الفريقين المعول في الاحتجاج والنظر عليهم، وإذا اختلفوا في رواية فروى كل فريق منهم من طريقه ضد ما رواه الفريق الآخر كان المعول في ذلك عند أهل النظر على الفحص عن الأسباب المتضادة بشواهد الكتاب ودلالات الأخبار المجمع عليها فأيهما ثبت وجوبه من المتضادين لزمت حجته وأيهما وجدت شواهده باطلة بطلت حجته ومهما لم توجد شواهد تحققه ولا علامات تبطله كان سبيله الوقوف فيها فلا يلزم الخصم فيها حجة يطالب فيها بواجب ثم يجب النظر بعد ذلك في معرفة الفريقين من نقلة الأخبار من أهل البيت عليهم السلام ومن الحشوية أيهما أولى بالاتباع عند وقوع التنازع والاختلافات فأيهما ثبت صدقة وصحت تزكيته من الرسول (ص) والأمر منه باتباعه منهما وجب قبول آثاره واطراح ما خالفها أو ضادها، وقد أجمعوا جميعا على الرواية في تزكية أهل البيت عليهم السلام وإشارة الرسول إليهم بالهدى والعبد من الضلالة والأمر منه باتباعهم والكينونة معهم فقال عليه السلام (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن أهل بيته عليهم السلام مع القرآن والقرآن مع أهل بيته عليهم السلام، وهذه دلالة الصحة على إن أهل بيته عليهم السلام معدن العلم إذ كان علموا ما يحتاج إليه في كتاب الله تعالى ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنهم قرناء القرآن

إلا بعد علمهم به ثم شهدوا بإزالة عمن تبعهم وتمسك بهم وإذا زالت الضلالة عنهم وعمن تبعهم وتمسك بهم كانوا غير مفارقين للهدى وأن يكونوا كذلك حتى يكونوا قد حووا جميع العلوم هي خارجة من كل ضلالة، وإذا كان ذلك كذلك واختلفت الحشوية وأهل البيت عليهم السلام في الروايات وتضادا في التحقيقات كان الاتباع لمن شهد الرسول (ص) لهم بإزالة الضلالة عن المتمسك بهم أولى وأجدر، وهذه الروايات التي رويناها من مناقبهم وفضائلهم فهو شئ تفردوا بنقله دون مخالفيهم من نقله طرق أهل العلم من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، بل هؤلاء قدروا فيهم ضدها وأنكروا روايتهم هذه التي تخرصوها فلو أنصفونا وجروا معنا في ميدان النظر وحقائق التمييز كانت الحجة عنا ساقطة في جميع ذلك ولما احتججنا إلى شرح فسادها وإظهار باطلها إذ كانوا نقلوها دون غيرهم، ولعمري لو اقتصرنا على هذه الحجة لكان فيها كفاية ومقنع ونهاية مع ما قد شرحناه من بدع القوم وتغييرهم وتبديلهم لدين الله عز وجل وحدوده ولعبادته ولكن من مذهبنا الاستقصاء في الشرح والبيان وإيضاح للبرهان علينا ولنا (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) و (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فنقول في ذلك وبالله نهتدي (أما ما رووا) من التقديم لأبي بكر في الصلاة فروايتهم في ذلك عن بلال عن عائشة فلو كنا ممن يميل إلى إبطال الأحاديث من جهة ناقليها دون شواهد وعلامات لإبطالها لكان في إبطال هذا الخبر أوكد مقال وذلك أن الحشوية يزعمون أن الحديث يثبت لهم من جهة ناقليه ويفسد عندهم كذلك من جهة ناقليه على قدر تزكيتهم الناقل وانحرافهم عنه من غير نظر في معانيه ولا طلب لشواهد تصديقه وعلامات باطلة، وهذه حالة لا يرضاها إلا قليل البصيرة ناقص التمييز والمعرفة زائل الفهم، فأما نحن فلا نعول على ذلك

ولا يقتصر عليه دون الشواهد والعلامات والدلائل الواضحات الدالة على تحقيقها أو بطلانها إذ كان من يظن به أمثالنا الصدق قد يجوز أن يكذب بحال من الأحوال الحقيقية وكذلك من يظن به أمثالنا الكذب يجوز أن يصدق بحال يقوم له في ذلك، فلهذا أو شبهه لم يثق بإطراح خبر ولا بحقيقة من عدو ولا ولي حتى يعلم صحته أو بطلانه بالشواهد اللائحة والأعلام الواضحة، واتبعنا في ذلك تأديب الله عز وجل من قائل إذ يقول (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فأمر الله أن يتدبروا لكتابه ليتحقق حقه ويزول الخلاف فيه وعنه، وإذا كان جمع أبواب الحق ووجوهه متفقة متسقة كان جمع أبواب الباطل وسبله متضادة مختلفة. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيكذب علي فأعرضوا ما تحدثوا به عني على كتاب ربي فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فانبذوه وأخبر أن كتاب الله مع أهل بيته مقرونا بهم لا يفارقهم ولا يفارقونه فدل ذلك على أنهم علماؤه فوجب الرجوع إلى أهل بيته (ع) في تحقيق الأشياء إذ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا أن نحقق أخباره بكتاب الله ولسنا نحيط بكتاب الله علما ولا شك في إحاطة أهل بيت رسول الله (ع) بعلمه إذ قرنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به فأوجبنا عند ذلك في كل ما نقل إلينا من أخبار رسول الله (ص) النظر والتمييز ليتحقق لنا حقها ويتضح لنا باطلها ولو عولنا في ذلك على ما تذهب إليه الحشوية في الأخبار لقلنا أن بلالا مولى أبي بكر وعائشة ابنته ويجوز أن يتهم بلال في الميل إلى مولاه وتتهم عائشة في الميل إلى أبيها ويبطل الحديث من هذه الجهة لكن هذه الحالة لا نرضاها لأنفسنا فنقول في فساد هذا الخبر وبالله التوفيق. إن أول ما يدل على فساده أنهم مختلفون في روايتهم (فمنهم من روى أن أبا بكر صلى بالناس أياما في حياة الرسول (ص) في علته (ومنهم) يقول إنه قدمه لصلاة واحدة وهي

الصلاة التي توفي عقبها وقالوا لما كبر أبو بكر في المحراب خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين علي (ع) والفضل بن العباس ورجلاه تخطان في الأرض ضعفا من العلة فدخل المحراب وصلى بالناس في روايتهم قاعدا ثم اختلفوا أيضا فقالوا إنه أزال أبا بكر عن المحراب وأقامه بينه وبين الصف الأول فكان أبو بكر يصلي بصلاة الرسول (ص) والناس يصلون بصلاة أبي بكر. وفي قول آخر بقي معه في المحراب يصليان جميعا، فلما اختلفوا في هذه الرواية هذا الاختلاف الذي شرحناه وهي عندهم من أفضل مناقب صاحبهم التي بها بزعمهم استحق الإمامة عندهم كان اختلافهم فيها دليلا على إبطال ما ادعوه من تقديم رسول الله (ص) له ولو قدمه كما زعموا ما اختلفوا فيه على هذا الحال كما لم يختلفوا في تقديم عتاب بن أسيد للصلاة بالناس بمكة حين فتحها الرسول (ص) ومحال أن يكون الرسول (ص) يقدم رجلا للصلاة في مسجده فيجهل له أولياؤه حتى لا يدرون هل صلى أم لم يصل أو هل أزاله الرسول (ص) عن المحراب إن لم يزله. فهذا أحد الدلائل على إبطال ما يدعونه من هذه الرواية وقد أجمعوا مع ذلك في روايتهم أن الرسول ص خرج حين كبر أبو بكر في المحراب في آخر صلاة صلاها رسول الله ص وهي صلاة العصر التي توفي عقبها قبل أن تغرب الشمس. فنقول إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدمه للصلاة على زعمهم وبدعواهم ثم خرج بعد ذلك فأزاله عن الصلاة بالناس وصلى هو بهم فإن الحال لا يخلوا في هذا من أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قدمه للصلاة بوحي من الله أو برأي قد رآه من نفسه فإن كان قدمه للصلاة بوحي من الله ثم خرج فمنعه من الصلاة بالناس فقد عصى الله بمخالفته الله فيما أمره من تقديم أبي بكر للصلاة بالناس، وقائل هذا كافر بلا خلاف، وإن كان الرسول (ص) قدمه برأي رآه من نفسه فليس يخلو حاله في إزالته من أن يكون برأي منه أو بوحي من الله، فإن كان أزاله

برأيه كما فيه فدفعه الأخير ناسخ للأول فقد عزله عن فضل قد كان أهله. وقبح أن يعزله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن فضل قد كان أهله (١) بزعم أوليائه إلا وقد علم أنه غير مستحق لذلك الفضل، وإن كان أخوه؟ بوحي من الله كان سبيله في ذلك كسبيله فيما بعثه بسورة براءة ليقرأها على الناس بمكة من بعد الفتح ومن بعد رجوعه من غزاة تبوك فلما سار أبو بكر بالسورة نحو مكة بعث خلفه عليا (ع) فاسترجعها منه ورده إلى الرسول (ص) وتقدم علي على السلام بالسورة إلى مكة فقرأها على أهل مكة ورجع أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله هل نزل في شئ استوجب استرجاعي وأخذ السورة مني فقال يا أبا بكر إن الله أوحى إلي أن لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني وإن عليا مني وأنا منه. وهذا مما لا خلاف فيه بين الأمة فإن صحت لهم رواية تقديمه في الصلاة فسبيله فيما وصفناه في إزالته عنها كسبيله بأداء سورة براءة. فهذا حال يهدم كل فضيلة لأبي بكر من دون أن ينسب ويثبت له فضيلة لكن أولياؤه (صم بكم عمي فهم لا يعقلون)

وأما ما اختلفوا فيه من وقوف أبي بكر بالمحراب مع رسول الله " ص " أو خلفه فإنا نقول في ذلك لو كان أبو بكر قام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المحراب محاذيا له لوجب مشاركته للرسول " ص " في الإمامة ولوجب أن يكون سنة مستعملة في الاسلام وغير مطرحة فيصلي بالناس إمامان في محراب واحد إذ ليس كان معهم نهي من الرسول " ص " عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فعله في آخر أفعاله التي لم ينسخها شئ من بعدها ولم ينه الرسول عنها. فلما كنا نجد أولياءه مجمعين على منع الشركة من أبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإمامة

---

(١) أهله هنا وفيما قبله بصيغة الفعل الماضي وبفتح الهاء المشددة الكاتب

ووجدناهم مجمعين على منع إمامين يصليان بالناس في محراب واحد بطل قول من يزعم أن أبا بكر قام مع رسول الله " ص " في المحراب محاذيا له. وثبت قول من قال إنه أقامه خارجا عنه بينه وبين الصف ولعمري لقد فعل ذلك به، ولو ميز أولياؤه هذه المنزلة لعلموا أن إقامته له في ذلك المقام دليل على أنه قد أنزله منزلة لا دين له إذ كانت الأمة مجمعة على أنه لا يجوز أن يصلي رجل جماعة فيقوم فرادى صفا وحده وإنه من فعل ذلك وقد عقد صلاته بنية الجماعة فلا صلاة له ومن لا صلاة له فلا دين له فلما قام رسول الله (ص) صاحبهم فرادى بينه وبين الصف كان قد أقامه مقام من لا صلاة له ومن لا صلاة فلا دين له، أم كفى بهذا المقام خزيا لصاحبه ودليلا لمن فهم ما شرحناه وبيناه وهذا المقام أجل منقبة لصاحبهم عندهم وقد شرحنا ما عليهم وما على صاحبهم عندهم فيه، وكان قول أبي بكر (وددت أني سألت رسول الله عن هذا الأمر لمن هو فكان لا ينازع فيه) دالا على أنه لم يكن له فيه حق يعرفه إذ لم يعرف هو لمن ولو كان له فيه حق لعرفه ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي مني وأنا من علي) دل على أن منزلة علي في دين الاسلام باثبات الحجة لله على الناس منزلة الرسول في ذلك بعد وفاته وفي التأدية عنه في حياته، وهذا تحقيق قوله صلى الله عليه وآله وسلم (علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) فلما كان رسول الله ص نبيا إماما وكان هارون نبيا إماما مع موسى (ع) فاستثناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنع اسم النبوة في علي (ع) يثبت له الإمامة ضرورة إذ لم يستثن بها الرسول (ص) كما استثنى بالنبوة. وقد شرحنا من معنى هذا الخبر في كتاب الأوصياء ما فيه كفاية لمن فهم. فهذه فضيلة صاحبهم التي يعولون بزعمهم قد أوضحنا ما عليه فيها وأن التقدمة لم تكن من قبل الرسول (ص) ولو صحت أيضا لهم من قبل الرسول (ص) عند الضرورة لعلة وثبت عند ذلك إيمانه وتطيره لكان ذلك مما لم يوجب ولايه لأحد

على المسلمين ولو كان ذلك مما يوجب ولاية لأحد لكان عتاب بن أسيد أحق بالخلافة منه إذ كان رسول الله " ص " قد قدمه يصلي بالناس حين فتح رسول الله " ص " مكة ورسول الله " ص " مقيم بمكة وأبو بكر معه يصلي خلف عتاب فقدمه رسول الله " ص " يصلي بالناس في المسجد الحرام من غير علة ولا ضرورة دعته إلى ذلك وهذا بإجماع الأمة فكان رسول الله " ص " يصلي بالناس الظهر والعصر وعتاب بن أسيد يصلي بالناس الثلاث الصلوات بإجماع. وكان بإجماع أن المسجد الحرام أفضل من مسجد المدينة ومكة أفضل من المدينة. ويلزم في النظر أن من قدمه رسول الله " ص " في الموطن الأفضل من غير علة أفضل ممن قدمه في مسجد هو دونه في الفضل من ضرورة العلة، فإن زعم جاهل أن مسجد المدينة هو مسجد رسول " ص " دون المسجد الحرام والخلافة لرسول الله " ص " فالمقدم في مسجده أولى من المقدم في غير مسجده قيل له هذا جهل وعمى فإن كان رسول الله " ص " حيث صلى من البلاد فهو مسجده وموطنه وهو الحاكم فيه دون غيره والأمر له وإليه وشاهد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم جعلت في الأرض مسجدا وطهورا. فجميع الأرض مسجد لرسول الله " ص " وهذا ما لا يحتج به ذو فهم

وأما رواية أهل البيت عليهم السلام (١) في تقديمه للصلاة فإنهم رووا بأن بدلا صار إلى باب رسول الله " ص " فنادى الصلاة وكان قد أغمي على

---

(١) وقد حرفت ولعبت يد التغيير بهذه الرواية في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح بما يوافق رغبتهم وميلهم ومن تصفح الصحاح الستة ير العجائب والغرائب من التحريفات والتغييرات الشائعة التي يرجع بعضها إلى مؤلفيها وأكثرها إلى لجنة التحريف والتغيير في مطابع مصر وغير مصر من البلاد التي لا يروق لأهلها إحقاق الحق وإبطال الباطل لا سيما في الأحاديث الواردة في فضائل ومناقب أهل البيت النبوي ع الكاتب

رسول الله (ص) ورأسه في حجر علي عليه السلام فقالت عائشة لبلال مر الناس أن يقدموا أبا بكر ليصلي بهم فإن رسول الله مشغول بنفسه فظن بلال أن ذلك عن رسول الله ص فقال للناس قدموا أبا بكر فيصلي بكم فتقدم أبو بكر فلما كبر أفاق رسول الله " ص " من غشوته فسمع صوته قال لعلي عليه السلام ما هذا قالت عائشة أمرت بلالا يأمر الناس بتقديم أبي بكر يصلي بهم فقال (ص) أسندوني أما إنكن كصويحبات يوسف فخرج بين ميمونة زوجته وبين علي بن أبي طالب (ع) إلى باب الحجرة فاستقبله الفضل بن العباس فرد ميمونة وأخذ الفضل بن العباس بعضده فجاء إلى المحراب بين الفضل وعلي عليه السلام (١) وأقام أبا بكر خلفه بين المحراب وبين

---

(١) في صحيح البخاري في كتاب الصلاة باب حد المريض أن يشهد الجماعة فخرج النبي (ص) يهادي بين رجلين وفي صحيح مسلم في كتاب الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، والرواية عن عائشة وفيها (فخرج بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر، قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة قال قلت لا قال ابن عباس هو علي عليه السلام) وفي رواية أخرى لمسلم فخرج ويد له على الفضل بن عباس ويد له على رجل آخر وهو يخط برجليه في الأرض فقال عبيد الله فحدثت به ابن عباس فقال أتدري من الرجل الذي لم تسم عائشة هو علي عليه السلام وفي رواية أخرى لمسلم فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض وأورد روايات أخرى لم يذكر فيها كيفية خروجه ولا غرابة من عائشة حيث لم تسم الرجل الذي خرج النبي " ص " معتمدا عليه فكيف تسمي عليا عليه السلام وعداوتها له ظاهرة وحسدها له لا ينكر فكم عارضته بمحضر من النبي (ص) والنبي ينتهرها، وقضاياها معه عليه السلام بعد وفاة النبي (ص) لا سيما في حرب البصرة أخزى وأشنع سامح الله أمنا عائشة وعاملها بعدله (الكاتب)

الصف وكان يسمع الناس التكبير إذا كبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كسبيل من يسمع الناس التكبير يوم الجمعة وصلى بالناس قاعدا
وأما ما زعمت العامة في الرواية من أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم قدموا أبا بكر فقالت عائشة إن أبا بكر رقيق القلب ولعله لا يتهيأ له أن يصلي بهم فليقدموا عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أبى الله ورسوله إلا تقديم أبي بكر أما إنكن كصويحبات يوسف فهو شئ لا معنى له لأن هذا شئ لا يشبه فعل يوسف وإنما مثل رسول الله ص بقوله في رواية أهل البيت عليهم السلام أما إنكن كصويحبات يوسف لكذبهن على يوسف كذلك أيضا كان قولها لبلال قدموا أبا بكر فليصل بالناس فإن رسول الله مشغول بنفسه دليل على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلو كان ما رواه حقا لكان ذلك طعنا على عائشة إذ عارضت رسول الله (ص) في أمره ومن عارض الرسول في أمره فقد ظن أنه أعلم منه بما عارضه فيه ومن ظن ذلك فقد كفر بلا خلاف، فليقدموا لعائشة إن شاؤوا في الحالين من روايتهم ورواية أهل البيت عليهم السلام ثم ليذموا بأهله إن شاؤوا فيما وصفناه في مقامه في تلك الصلاة إذ كان مقام من لا صلاة له وكل ذلك عليهم لا لهم والحمد لله رب العالمين
وأما قول جهالهم لما رضيه رسول الله لديننا رضيناه لدنيانا بزعمهم فهذا جهل واختلاط، وتخبط وإفراط، وذلك أن القوم إن كانوا إنما أقاموا أبا بكر لدنياهم فقد يلزم في حق النظر أن يكون أبو بكر وكيلا لهم في دنياهم وإذا قالوا أن أبا بكر كان وكيلا لمن أقامه لزم في حق النظر وحكم الاسلام أن يكون الناس مخيرين في اقامته لدنياهم وإزالته عن دنياهم وليس على كل الناس فرض أن يقيموا لدنياهم وكيلا بل ذلك إليهم إن شاؤوا أقاموا ذلك وإن شاؤوا لم يقيموا، وإذا كان ذلك كذلك واختاره قوم أقاموه وكيلا

لدنياهم كما زعموا فليس على جميع الناس واجبا أن يقبلوا ذلك فمن شاء أن يقيمه أقامه ومن شاء أن يمتنع امتنع من ذلك، فإن امتنعوا من ذلك تركوا علتهم التي أصلوها بزعمهم أنهم رضوا لدنياهم من رضيه رسول الله لدينهم ومن ترك علته وخرج عن أصله الذي عليه معوله ومذهبه فقد لزمه عند جميع أهل النظر مفارقة مذهبه والدحوض لحجته وكفى بذلك خزيا لمن أقام عليه، وإن هم أجازوا الاختيار من الناس لإقامته فمن شاء أقامه لدنياه ومن شاء لم يقمه لزمهم في حكم النظر أن يكون القوم الذين أقاموه لدنياهم آمرين ناهين له له في كل أحواله ولا أمر له عليهم ولا طاعة إذ كل دين وشريعة وملة ومعقول يوجب أن كل من كان له وكيل في دنياه فطاعته وأمره ونهيه لازم لموكله ولا طاعة للوكيل ولا أمر له معه ولا نهي، وإذا كان ذلك كذلك فقد أخرجوا أبا بكر من حدود الإمامة وهم لا يعلمون ومع ذلك فقد الزموا أبا بكر الظلم والتعدي بل الكفر في قتله الذين منعوه زكاتهم وسبي ذراريهم (١) وأبا فروج حريمهم فبأمر من فعل ذلك ومن الذي أوجب له ذلك منهم وإنما هو بزعمهم وكيل لمن رضيه لدنياه فإن القوم لم يرضوه لدنياهم وكيلا وليس ذلك عليهم بواجب في الدين ولا في أحكام العقول لأن كل إنسان مخير إن شاء أقام وكيلا وإن شاء قام هو بنفسه دون غيره، هذا مع ما يلزمهم في حق النظر على أصل علتهم هذه أن يكون كل من قدمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة بقوم في مصر من الأمصار وقبيلة من القبائل فقد رضيه لدينهم، ويجب على كل قوم أن يرضوا لدنياهم من رضيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لدينهم فيرضى أهل مكة من أقامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة بهم لدنياهم وكذلك أهل الطائف وأهل

---

(١) هو مالك بن نويرة فقد قتله خالد بن الوليد بأمر أبي بكر وقتل أصحابه وسبي ذراريهم وأباح فروج نسائهم فنكح خالد زوجة مالك من ليلته انظر ص ٩ من (الكتاب)

اليمن وكل بلد فتحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرضون لدنياهم من قدمه صلى عليه وآله وسلم للصلاة بهم، وكذلك جميع البوادي والقبائل والقرى والسرايا وذلك أن رسول الله (ص) إنما أقام أبا بكر على دعواهم للصلاة باهل المدينة دون غيرهم من سائر النواحي فكان لأهل المدينة خاصة وارتضاه رسول (ص) لهم بزعمهم كما ارتضى لأهل مكة صاحبهم المصلي بهم من قبله وكما يرتضي لأهل كل مصر وكل قبيلة وليس لأهل المدينة أن يتحكموا على غيرهم برأيهم فكل قوم فلهم أن يختاروا لأنفسهم صاحبهم كما لأهل المدينة ذلك. فإن طالب أهل المدينة أهل مكة الدخول معهم والرضا بصاحبهم قال أهل مكة لأهل المدينة إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزعمكم اختار صاحبكم للصلاة بكم دون غيركم ولم يختره لنا فرضيه لكم وكذلك اختار لنا رجلا غيره فرضيه لنا كما رضي صاحبكم لكم فنحن نختار صاحبنا كما اخترتم أنتم صاحبكم إذ كنا نحن وأنتم مختارين في هذا الأمر من غير أمر من الرسول (ص) معكم ولا معنا في ذلك فقد تساوينا في الاختيار فإن منعوا ذلك بأن ظلمهم وظهرت فضيحتهم وانكسرت حجتهم وخرجوا عن أصلهم وتركوا علتهم وإن اختاروه كثرت الخلفاء والأئمة في جميع الأمصار وكفى بهذا المذهب خزيا لمن أقام عليه وناضل عنه بعد هذا البيان عند من فهم وأما ما احتجوا به من قول الله تعالى (ثاني اثنين إذ هما في الغار) وإن ذلك أبو بكر الذي كان مع رسول الله (ص) في الغار ومن قال إنهم كانوا خمسة ليس كما قال الله تعالى (ثاني اثنين إذ هما في الغار) وما نجد لأبي بكر في هذا الحال فضيلة على غيره لأنه صحب الرسول (ص) في تلك الحال فلم يدفع بصحبته للرسول (ص) ضيما ولا حارب عنه عدوا ولا وجدنا في الآية مديحا بفضل أكثر من خروجه معه وذكر حجته له وقد أخبرنا الله جل اسمه في كتابه أن الصحبة قد تكون للكافر مع المؤمن حيث يقول (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم

من نطفة ثم سواك رجلا) الآية فما في الآية فما في الصحبة منقبة تعد فضيلة (١) وليس لمن نظر لنفسه فاتبع سبيل ربه طالبا لخلاصه في الهرب ببدنه منه على غيره فأي حال أوجب المنة لأبي بكر على غيره في صحبة الرسول

---

(١) قال السيد الشريف المرتضى علم الهدى رحمه الله في الشافي (ص ٢٢١) في رده لقاضي القضاة حيث جعل قصة الغار فضيلة لأبي بكر (ما نصه) أما قوله أنه كان صاحبه في الغار فإنا متى اعتبرنا قصة الغار لم نجد فيها لأبي بكر فضلا بل وجدناه منهيا والنهي من الرسول (ص) لا يتوجه إلا إلى قبيح، ونحن نبين ما يقتضيه سيقرأ الآية، أما قوله تعالى (ثاني اثنين) فليس فيه أكثر من إخبار عن عدد وقد يكون ثانيا لغيره من لا يشركه في إيمان ولا فضل، ثم قال (إذ يقول لصاحبه) وليس في التسمية بالصحبة فضل لأنها قد تحصل من الولي والعدو والمؤمن والكافر قال الله تعالى مخبرا عن مؤمن وكافر اصطحبا (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) ثم قال (لا تحزن) فنهاه عن الاستمرار على حزن وقع منه بلا خلاف لأن الرواية وردت بأنه جزع ونشج بالبكاء، وإنما ذكرنا ذلك لئلا يقولوا إنما نهاه عما لا يقع منه، وظاهر نهيه صلى الله عليه وآله وسلم يدل على قبح الفعل وإنما يحمل النهي في بعض المواضع على التشجيع والتسكين؟ بدلالة توجب العدل وعن الظاهر، وهذا يدل على وقوع المعصية من الرجل في الحال، وأما قوله تعالى (إن الله معنا) فمعناه أنه عالم بحالنا كما قال تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم إنما كانوا) فليس في ذلك أيضا فضل، وقد قيل إن لفظة معنا تختص النبي (ص) وحده دون من كان معه وقد يستعمل الواحد العظيم هذه اللفظة في العبارة عن نفسه كما قال تعالى " إنا أرسلنا نوحا، وإنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ثم قال " فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها " وإنزال السكينة إنما كان على النبي (ص) بدلالة قوله (وأيده بجنود لم تروها) وهم الملائكة وبدلالة أن الهاء من أول الآية إلى آخرها كناية عن النبي (ص) ولم تنزل السكينة على النبي في غير هذا المقام إلا عمت من كان معه من المؤمنين قال الله تعالى في يوم حنين " فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين " وقال تعالى " إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وفي اختصاص الرسول (ص) في الغار بالسكينة دون من كان معه ما فيه. (الكاتب)

لي الغار وإنما كان هاربا ببدنه طالبا بذلك النجاة لنفسه دون أن يكون ذلك منفعة لغيره، فإن كان مؤنسا للرسول (ص) جهلوا في هذا لأن رسول الله (ص) لم يكن مستوحشا والله مؤنسه أفضل أنسا من أبي بكر وغيره، وملائكة ربه نازلة من آناء الليل وأطراف النهار كما قال الله عز وجل (فأنزل الله سكينته عليه وأيده بروح القدس وأيده بجنود لم تروها) يعني الملائكة، وكما قال جل اسمه مخبرا عن الرسول (ص) (يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) فمن يأنس بالله وملائكته كان محالا أن يأنس بغيرهم ولو كان أيضا ذلك كذلك لكان ثوبه له دون غيره ولم تكن فيه منفعة لسواء فتكون له فضيلة على غيره، ولقد كانت المنة لله ولرسوله عليه ذلك إذ قبله صاحبا وهداه بزعمهم ثم نقول في ذلك بعد هذا كله إن الله قد أخبرنا في قصته وقصة الرسول (ص) بما دلك على تهمته في إيمانه لأنه قال جل من قائل، ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا. ثم قال فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها، فأخبر أنه أنزل السكينة عليه دون أبي بكر ولم يذكر أبا بكر في السكينة كما أخبرنا في موطن آخر أنه أنزل السكينة على الرسول وعلى المؤمنين حيث يقول في سورة التوبة، لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

ثم أنزل الله سكينه على رسوله وعلى المؤمنين، ألا ترى أنه ذكر السكينة للمؤمنين في هذا الموضع إذ كانوا حضورا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يذكر أبا بكر في حال كونه مع الرسول (ص) في الغار فأنزل السكينة على الرسول ولم يذكره كما ذكر المؤمنين في هذا الموضع من حنين فكان ذلك موجبا للتهمة في إيمانه وانتقاما للذي وجد للطعن عليه بذلك سبيلا لأنه يقول لو كان مؤمنا لكان قد ذكره في إنزال السكينة على الرسول معه في الغار كما ذكر غيره من المؤمنين يوم حنين وهم الذين ثبتوا مع علي عليه السلام تحت الراية وكانوا يومئذ ثمانية لم ينهزموا مع المنهزمين، وبإجماع أن أبا بكر وعمر لم يكونا في الثابتين وكانا من المنهزمين، وقال أيضا قوم من أهل النظر أن أبا بكر بصحبته لرسول الله (ص) في الغار لم تصح له هجرة، قالوا وذلك لأن الله يقول " ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله " قالوا وهجرة رسول الله (ص) إلى الله وهجرة المؤمنين إلى رسول الله (ص) فمن هاجر إلى رسول الله (ص) وجب أن تكون هجرته إليه بعد هجرة رسول الله (ص) إلى هجرته ولما كان أبو بكر خرج لخروج رسول الله (ص) لم يجز أن يكون شريكا للرسول (ص) في هجرته إلى الله تعالى لأن أبا بكر كان مستعيذا برسول الله ص والرسول واسطة بينه وبين الله فيكون الرسول (ص) مستعيذا به كما إن أبا بكر مستعيذا بالرسول (ص) فلما كان أبو بكر مستعيذا بالرسول (ص) لم يجز أن يكون شريك الرسول (ص) في هجرته والهجرة إلى الرسول لا تكون إلا من بعد هجرة الرسول فلا يجوز أن يكون فيه معه فيكون شريكه والشركة له في ذلك غير جائزة بإجماع ولا يجوز أن يكون قبله فيكون ذلك غير مهاجر إلى الله وإلى الرسول فلما كان أبي بكر على ما وصفناه من كينونته مع الرسول " ص " في حال هجرة الرسول " ص " بطل أن يكون مهاجرا إلى الرسول وثبتت له الصحبة فقط وقد ذكرنا في حال

الصحبة أنها تكون لمؤمن مع كافر ما فيه كفاية لمن فهم وفي هذا إخراجه من كل خبر ذكر الله به المهاجرين في كتابه إذ لم يكن منهم فانظروا يا أهل النظر إلى ما عليهم وعلى صاحبهم في هذه المواطن التي هي أجل مناقب صاحبهم وأعظم فضائله عندهم وبها يصولون وعليها يعولون، وهكذا لعمري سيل أهل الباطل ينقض عمري باطلهم والله عليهم من كل جهة راموا إثبات حجة منها لباطلهم ولله المنة على أوليائه بما بصرهم من نور هدايته.

وأما ما زعموا من قولهم أن أبا بكر وعمر وزراء رسول الله (ص) فلسنا نعرف الوزارة في اللغة إلا المعونة لا غير فمعونة رسول الله " ص " لا تكون إلا من جهتين لا ثالث لهما، في المعونة في التأدية والابلاغ إلى الناس من دين الله الذي جاء به من عنده كما قال عز وجل " ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا أخاه هارون وزيرا " وكان هارون عليه السلام مؤديا معه رسالات الله ومعينا له على دين الله، والوجه الثاني هو المعونة بمجاهدة الكفار ومحاربتهم ولا نعرف في معونة الرسول وجها ثالثا وذلك أن في الوزارة لسائر الناس غير الرسل ما يكون معه الرأي والمشورة والتدبير وهذا حال لا يضن لأحد مع الرسل لأن الرسل لا يستعملون آرائهم وتدبيرهم دون تدبير الله تعالى وأمرهم وإنما هم يصدرون عن أمر الله ونهيه وتدبيره في وجوه تصرفاتهم من حرب إلى سلم إلى تقدم إلى تأخر إلى غير ذلك (١) ومن كان الله مدبره ومختارا له في تصرفاته كان مستغنيا عن مشاورة رعيته

---

(١) قال السيد الشريف المرتضى رحمه الله في الشافي ص ٢٢٢ في رده على قاضي القضاة " ما نصه أن النبي ص " لا يستشير أحدا لحاجة منه إلى رأيه وفقر إلى تعليمه وتوقيفه لأنه " ص " الكامل الراجح المعصوم المؤيد بالملائكة وإنما كانت مشاورته أصحابه ليعلمهم كيف يعملون في أمورهم، وقد قيل فعل ذلك ليستخرج دخائلهم وضمائرهم فلا تضل في المشاورة " الكاتب "

وتدبيرهم معه وهذا مما لا يجوز أن يظنه ذو فهم في رسول ولا نبي ولا حجة لله على عباده، وقد جهل قوم من أهل الغفلة في تأويل قول الله عز وجل " وشاورهم في الأمر " فظنوا أن ذلك لحاجة بالرسول إلى مشاورتهم، كلا ما يظن هذا إلا جاهل عند أهل المعرفة والبصيرة بل لعله نقصان كان فيهم أمر رسول الله ص أن يشاورهم ليتألفهم بذلك كما جعل للمؤلفة قلوبهم نصيبا من الصدقات لعلم الله سبحانه بما في ذلك من إصلاح التدبير الذي يجهله المخلوقون، وفي ابتداء الآية ما يدل ذا فهم على أن ذلك كذلك من التأليف، ألا تسمع قول الله تعالى حيث يقول فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين. وقوله إنهم كانوا ينفضون من حوله لو كان فظا عليهم دليل على نفضانهم وقوله (فاعف عنهم واستغفر لهم) دليل على أنهم فعلوا ما لا يرضي الله ولا رسوله منهم فأمره بذلك عند تألفهم، ومن كان بهذه الصفة بطل أن يكون مدبرا للرسول ص ومشيرا عليه بما يعمل به، فكيف يكون ذلك منهم والله مخبر عن أهل بدر وهم أجل الصحابة وأرفعهم درجة وهي أجل موطن غزاها المسلمون " كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك بالحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين إنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون " افترقوا إلى هذه الأحوال التي وصفها الله من أهل بدر كيف كانت كلها مضادة لمراد الله جل ذكره في تدبيره فمحال عند ذوي الفهم أن يكون الرسول يستشير مثل هؤلاء ومن هو دونهم من الصحابة في العلم والمعرفة في تدبير يعمل عليه، فلما بطل ذلك ثبت أن أمره بمشاورتهم ليتألفهم بها لتطيب بها أنفسهم وليسكنوا إليه ويثبتوا معه

وعنده ويستبصروا في الدين على الإمام في وقت بعد وقت، وثبت عند ذلك أن معونة الرسول (ص) ووزارته لا تكون إلا من هذين الوجهين التأدية والمجاهدة وما منهما من كان له في هذين الوجهين أثر محمود معروف مشهور مذكور كمقام غيرهما فيهما (أما وجه التأدية) ففي خبر سورة براءة وما قد أجمع عليه أهل الأثر من العامة والخاصة ما فيه كفاية لأولي الألباب وذوي الأفهام حين بعثه الرسول (ص) بسورة براءة إلى مكة ليقرأها عليهم فلما فصل من حضرته بعث خلفه بعلي عليه السلام فاسترجعها منه وتقدم بها إلى مكة أورده الرسول (ص) فقال هل نزل في شئ استوجب ردي من الوجه الذي أنفذتني فيه فقال إن الله أوحى إلي أنه لا يبلغ عني إلا أنا ورجل مني وإن عليا مني وأنا منه، فهذه المنزلة من الوزارة في التأدية ليس لأحد من الصحابة إلا لعلي عليه السلام دون غيره فكان علي عليه السلام هو أحق بوزارة رسول الله (ص) ومعونته في التأدية دون جميع الناس وشاهد ذلك قول رسول الله (ص) منزلة علي مني كمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه جعل هارون وزيرا لموسى بقوله تعالى (وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) فبطل أن يكون أبو بكر وعمر وزيريه في وجه التأدية (وأما وجه المجاهدة) في حروب المشركين فليس يختلف أهل الأثر في أن أبا بكر وعمر قد انهزما في مواطن كثيرة من مواطن الحروب والجهاد مثل هزيمتهما يوم أحد، ومثل هزيمتهما يوم خيبر حين دفع رسول الله (ص) الراية إلى أبي بكر وأمره بالمسير إلى حصن خيبر فرجع منها منهزما ثم دفعها إلى عمر فرجع بها منهزما كذلك فغضب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما بال أقوام أدفع إليهم رايتي فيرجعون بها منهزمين يجبنون أصحابهم وأصحابهم يجبنونهم أما والله لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، فقال أهل النظر في ذلك

قول الرسول (ص) هذا يدل على أنهما لم يكونا يحبان الله ورسوله ولا يحبهما الله ورسوله إذ كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حكيما لا يقول قولا إلا لفائدة فيه ودلالة على مواقع الحق وطرق الصدق، ومثل هزيمتهما حيث بعثهما إلى بلاد طي التي تسمى غزات ذات السلاسل، ومثل هزيمتهما يوم حنين وهذا كله بإجماع أهل الأثر وليس نعرف خبرا واحدا عنهما أنهما برزا لقرن ولا بارزا شجاعا ولا قارعا باطلا من مبارزي المشركين، وقد كان غيرهما من جماعة المسلمين أحسن حالا منهما في مواطن الحروب ومعارك المقارعة، فبطل عليهما أيضا هذا الوجه الآخر من أن يكون لهما منه وزارة وكان غيرهما من مجاهدي المهاجرين والأنصار أحق بهذا الاسم منهما عند ذوي الفهم.

وأما ما رووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزعمهم قال ما نفعني مال كمال أبي بكر لقد زوجني ابنته وأنفق علي أربعين ألفا ففي هذه الرواية ما هو صحيح وما هو باطل وذلك أن تزويج الرسول (ص) من ابنة أبي بكر صحيح لا خلاف فيه، وأما إنفاق المال (١) فما يكون عند ذوي الفهم من الكذب شئ أوضح ولا أظهر منه لأن من أنفق هذا المال

---

(١) أورد رواية إنفاق المال على النبي (ص) قبل الهجرة المحب الطبري في الرياض النضرة في فضائل أبي بكر وأسندها تارة على عائشة وأخرى إلى أختها أسماء بنت أبي بكر، ولعمري أنهما إن لم ينتجا فضيلة إلى أبيهما المشفق عليهما فمن أحرى بذلك فاقرأ وأعجب، وقال السيد الشريف المرتضى علم الهدى رحمه الله في الشافي ص ٢٢١ ما هذا نصه: وقد بين أصحابنا في الكلام على نفقة أبي بكر وادعاء يساره تارة أنه كان مملقا غير موسر، ودلوا على ذلك من حاله بأشياء، منها أنه كان يعلم الناس ويأخذ الأجرة على تعليمه وليس هذا صنع الموسرين، ومنه أنه كان يخيط الثياب ويبيعها، ومنها أن أباه كان معروفا بالمسكنة والفقر وأنه كان ينادي في كل يوم على مائدة عبد الله بن جدعان يأجر طفيف فلو كان أبو بكر غنيا لكفى أباه، وبعد فلو سلمنا لهم يساره وإنفاقه على ما يدعون لكان غير دال على الغرض الذي يجرون إليه لأن المعتبر في الانفاق بالمقاصد؟ والنيات فمن أين لهم أن عرض أبي بكر فيه كان محمودا، وهذا مما لا يد فيه من الرجوع إلى غير ظاهر الانفاق " الكاتب "

العظيم على رجل محال أن لا يعرف موطنه وموضعه وحيث أنفقه ولسنا نعرف أن لرسول الله (ص) موطنا غير مكة والمدينة، فإن زعموا أن أبا بكر أنفق هذا المال بمكة قبل الهجرة قيل لهم على ما أنفق هذا المال وقيم صرفه أكان لرسول الله (ص) من الحشم بمكة والعيال ما أنفق عليهم هذا المال كله من مدة ما أسلم أبو بكر إلى وقت هجرته فهذا بين المحال، أم يقولون أن الرسول (ص) جهز الجيوش بمكة بهذا المال فتظهر فضائحهم إذ كان الرسول (ص) بإجماع لم يشهر سيفا بمكة ولم يؤمر به ولا يأمر به ولا أطلق لأصحابه محاربة أحد من المشركين بها وإنما كان أسلم معه إذ ذاك أربعون رجلا فلما اشتد عليهم الأذى من قريش وشكوا ذلك إلى رسول الله (ص) ولى عليهم جعفر بن أبي طالب وأخرجهم معه إلى أرض النجاشي ملك الحبشة وكانوا هناك إلى أن هاجر رسول الله (ص) وفتح كثيرا من فتوحه فقدموا عليه بعد سنتين من الهجرة، ولقد كان رسول الله (ص) يشاهده الخاص والعام أعني قريش بعد تزويجه بخديجة وكانت خديجة باقية عنده إلى سنة الهجرة لا يحتاج مع مالها إلى مال غيرها حتى لقد كان من استظهاره بذلك أن ضم علي بن أبي طالب عليه السلام إلى نفسه تخفيفا بذلك في المؤنة على أبي طالب رضي الله عنه وذلك أنه أصاب قريشا جدب وكبش؟ عيال أبي طالب فقال رسول الله (ص) لأعمامه هلموا نخفف على أبي طالب من عياله فأخذ رسول الله (ص) عليا وأخذ حمزة جعفر وأخذ العباس عقيلا، وما وجدنا في شئ من الأخبار أن رسول (ص) بعد تزويجه

بخديجة احتاج إلى أحد من الناس فإن أهل الأثر مجمعون على أن خديجة أيسر قريش وأكثرهم مالا وتجارة، وقد أجمعوا في الرواية أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال في غير موضع والله لقد صليت قبل كل أحد مع رسول الله (ص) سبع سنين، وقد أجبر على أن أبا بكر أسلم بعد سبع سنين من إظهار رسول الله (ص) الدعوة وبقي رسول الله (ص) بمكة ثلاث عشرة سنة بعد إظهار نبوته إلى أن هاجر إلى المدينة. فجميع ما بقي رسول الله (ص) بمكة بعد إسلام أبي بكر ست سنين، فيا معشر من فهم هل تجزون أن رسول الله (ص) لو كان له خمسون نفسا من العيال مع كثرة مال خديجة ينفق في ست سنين أربعين ألف دينار أو أربعين ألف درهم، ألا تنظرون بيان هذا المحال وفساد هذا المقال، فإن قالوا أنه أنفقه عليه بالمدينة بعد الهجرة فقد علم أهل الآثار أن أبا بكر ورد المدينة وهو محتاج إلى مواساة الأنصار في الدور والمال وفتح الله بعد الهجرة على رسوله ص من غنائم الكفار وبلدانهم ما كان بذلك أغنى العرب لو اقتنى منه عقدة ومع هذا فإنما أقام رسول الله (ص) في المدينة عشر سنين إلى أن قبض، وقد رووا أن رسول الله ص كان في ضيافة الأنصار يتداولون ضيافته
وأنه كان في أوقات كثيرة يشد الحجر من المجاعة على بطنه ويطوي الأيام الثلاثة والسبعة والأكثر لم تطعم فيهن طعاما إلى أن فتح الله عليه البلدان، فمن يدفع إليه رجل واحد أربعين ألف دينار يكون بالحال الذي وصفناه في مدة عشر سنين، فيا سبحان الله ما أعظم تخرصهم على الله ورسوله (ص) ولقد رووا جميعا أن الله عز وجل لما قال " يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة " فقد قعد المهاجرون والأنصار عن مناجاته غير علي عليه السلام فإنه قال كان معي دينار واحد فبعته بعشرة دراهم فجعلت أتصدق منها بدرهم بعد درهم ثم أناجي رسول الله (ص) مرة بعد أخرى حتى تصدقت بالدراهم كلها في عشر مرات وما

فعل ذلك بإجماع غيره ثم نسخ الله تعالى تلك الآية بقوله " أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله " الآية، والاجماع واقع على أن أبا بكر كان فيمن تخلف عن المناجاة بسبب الصدقة، فمن لم تسمح نفسه بصدقة درهم لمناجاة الرسول ص واختار التخلف عن مناجاته بسبب درهم واحد يخل به فكيف ينفق أربعين ألف دينار أو أربعين ألف درهم، فقد جاؤوا بالإفك ظلما وقالوا زورا، ومع ذلك فالاجماع واقع من الخاص والعام أن عليا عليه السلام أطعم مسكينا ويتيما وأسيرا أقراصا من شعير يبلغ ثمنها في أيام القحط والجدب والغلاء ربع درهم فأنزل الله تعالى في ذلك سورة – هل أتى – إلى آخرها (١) ومن أنفق أربعين ألف درهم أو دينار لم يكن

---

(١) قال الشريف المرتضى علم الهدى رحمه الله في الشافي ص ٢٢٠ ما نصه: ولو كان إنفاق أبي بكر صحيحا لوجب أن يكون وجوهه معروفة كما كانت نفقة عثمان في تجهيز جيش العسرة وغيره معروفة لا يقدر على إنكارها منكر ولا يرتاب في جهاتها؟ مرتاب، وكما كانت جهات نفقات أمير المؤمنين عليه السلام معروفة ينقلها الموافق والمخالف، فمن ذلك أنه عليه السلام كان يقوم بما يحتاج النبي ص مدة اقامته بالشعب إليه ويتمحله وقد روي أنه أجر نفسه من يهودي وصرف أجره إلى بعض ما كان يحتاج إليه النبي وإنفاق أمير المؤمنين عليه السلام مع الاقتار والإقلال أفضل وأرفع من إنفاق أبي بكر لو ثبت مع الغنى والسمعة ومن ذلك تقديمه الصدقة بين يدي النوى ونزول القرآن بذلك بلا خلاف بين أهل العلم. وإنه عليه السلام كان يطعم المسكين واليتيم والأسير حتى نزلت في ذلك سورة هل أتى على الإنسان، وفيه نزل وفي معنى نفقته ورد قوله – الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون – ولما تصدق بخاتمه وهو راكع نزل فيه قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) وهذه جهات لا تدفع ولا تجهل فأين نفقات أبي بكر والشاهد عليها إن كانت صحيحة
" الكاتب "

الله عز وجل ذكره ينزل فيه آية من كتابه يشكر على ذلك كما أنزل الله تعالى في أصحاب الأقراص من الشعير إلا أن يكون سبيله في ذلك كما قال في " الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر " الآية، وفيما شرحنا مما يدعونه من هذا الباب كفاية لأولي الألباب.
وأما ما رووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزعمهم " اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر " فهو ظاهر المحال عند ذوي النظر وذلك إنا وجدنا روايتهم في مخاصمة أبي بكر وعمر الأنصار في وقت البيعة حين أرادت الأنصار البيعة لسعد بن عبادة فما وجدناهما قالا شيئا من ذلك ولا ادعياه على الأنصار (١) ولو كان هذا صحيحا كما زعم المتخرصون

---

(١) قال الشيخ الجليل شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي الغروي المتوفى سنة ٤٦٠ في تلخيص الشافي للسيد المرتضى رحمه الله ص ٣٨٩ طبع إيران ما نصه: قوله اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر، لا يصح الاحتجاج به لأنه خبر واحد لا يوجب العلم ومسألة الإمامة مسألة علمية لا يجوز الرجوع إلى مثله فيها وأيضا فإنه مطعون على رواية مذكور ذلك في الكتب لأنه رواه عبد الملك بن عمير اللخمي وكان فاسقا جريا على الله وهو الذي قتل عبد الله بن يقطر رسول الحسين بن علي عليه السلام إلى مسلم ابن عقيل حين رمى به ابن زياد من فوق القصر وبه رمق فأجهز عليه فلما عوتب على ذلك قال إنما أردت أن أريحه استهزاء بالقتل وقلة مبالاة وكان يتولى القضاء لبني أمية وكان مروانيا شديد النصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام ومن هذه صورته لا تقبل روايته، ولو تجاوزنا عن ذلك وسلمنا لم تكن روايته فيها حجة ودلالة من وجوه ذكرها أصحابنا (أحدها) إن الاقتداء بالرجلين مستحيل لأنهما يختلفان في كثير من أحكامهما وأفعالهما واتباع المختلفين متعذر غير ممكن، ولأنه يقتضي عصمتهما والمنع من جواز الخطأ عليهما وليس هذا بقول أحد فيهما لأن إيجاب الاقتداء بمن ليس بمعصوم إيجاب لما لا يؤمن كونه قبيحا ومتى قالوا نقتدي بما نعلم حسنه بطل اختصاصهما بذلك (ومنها) أنه لو كان قبيحا لاحتج به أبو بكر لنفسه في السقيفة ولما جاز أن يعدل عنه إلى روايته أن الأئمة من قريش ولا خفاه على أحد في أن الاحتجاج بخبر الاقتداء أقطع للشغب وأحض للحجة وأشبه بالحال سيما والتقية عنه زائلة ووجوه الاحتجاج له معرضة، ولوجب أيضا أن يحتج به أبو بكر على طلحة لما نازعه فيما رواه من النص على عمر وأظهر الانكار لفعله فكان احتجاجه في تلك الحال بالخبر المقتضي لنص الرسول (ص) على عمر ودعائه الناس إلى الاقتداء به والاتباع له أولى وأليق من قوله (أقول يا رب وليت عليهم خير أهلك) وأيضا لو كان هذا صحيحا لكان حاجزا لمخالفة الرجلين وموجبا لموافقتهما في جميع أقوالهما وأفعالهما وقد رأينا كثيرا من الصحابة قد خالفهما في كثير من أحكامها وذهبوا إلى غيرها ما يذهبان إليه وأظهروا ذلك فيجب أن يكونوا بذلك عصاة مخالفين لنص الرسول (ص) وقد كان يجب أيضا أن ينبه الرجلان

من خالفهما وأظهر خلافهما ما مقتضى هذا الخبر ويذكراهم بأن خلافهم محظور ممنوع، على أن ذلك لو اقتضى النص بالإمامة على ما ظنوا لوجب أن يكون ما رووه عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم موجبا لإمامة الكل وإذا لم يكن هذا الخبر موجبا للإمامة فكذلك الآخر. " الكاتب "

لكان لهما فيه أعظم الحجة على الأنصار فلم يكونا يحتاجان إلى الاحتجاج عليهم بعترة رسول الله (ص) وقومه وما شاكل ذلك وكانا يقولان يا معشر الأنصار قد أمركم رسول الله وخبركم بالاقتداء بنا فليس لكم
مخالفة رسول الله فلما لم يذكرا ذلك بشئ من احتجاجهما دل على بطلان ما تخرصوه من هذا الخبر، ثم نقول بعد هذا كله ليس يخلو قول الرسول (ص) اقتدوا بالذين من بعدي، من أن يكون أراد به الإمامة والخلافة أو أن يكون أراد به ما رويا منه عن رسول الله (ص) فإن قالوا أراد

ما رويا عن لرسول (ص) فيقال لهم أوليس قد روى غيرهما من ذلك أكثر مما رويا منه عن الرسول (ص) فلا يجدون إلى دفع ذلك سبيلا فيقال لهم قد لزمكم أن تقتدوا برواية غيرهما كما تقتدون بروايتهما أو تطرحوا رواية غيرهما، فإن قالوا نطرح رواية غيرهما وجب عليهم تكذيب جميع من رووا عنه معالم دينهم من رجالهم ومشايخهم الذين على نقلهم يعولون في أصولهم فأول ما يلزمهم في ذلك اطراح هذا الخبر وإبطاله من روايتهم (اقتدوا بالذين من بعدي) لأن هذا الخبر نقل عن غيرهما وكفى بهذا لمن يضطر مذهبه إلى مثله خزيا، وإن قالوا لا يجوز الاقتداء برواية غيرهما في ذلك كسبيل الاقتداء بروايتهما قيل لهم فأي فضل لهما في هذه المنزلة إذ كان غيرهما قد ساواهما فيها، وهذا ما لا فائدة فيه ورسول الله (ص) أحكم من أن يقول قولا أو يأمر أمرا لا فائدة فيه، فإن قالوا إن الرسول (ص) أراد بذلك ما يحدثانه في الدين من بعده كذبهم ما أجمعوا عليه من قول الرسول (ص) كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ولم يقل إلا محدثة فلان وفلان دون غيرهما، ولزم أن يكون جميع من أحدث في الدين بعد الرسول (ص) شيئا لم يأت به كتاب ولا سنة رسول الله (ص) فهو مبتدع ضال مضل. وهذا ما لا محيص لهم منه مع ما يكذبهم في ذلك أيضا كتاب الله حيث يقول " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا " ومحال عند ذوي الفهم أن يكون بعد هذا

الكمال والتمام من الله نقصان. إذ لو كان ذلك كذلك لزم تكذيب هذا من الله سبحانه وعظم شأنه إذ قال " اليوم أكملت لكم دينكم " ولم يكمل وقائل هذا ومعتقده كافر راد على الله. وإن قالوا أراد به الإمامة من بعده، قيل لهم أفتقولون إن أبا بكر وعمر كانا إمامين في عصر واحد معا، فإن قالوا ذلك كذبهم الخبر في استخلاف أبي بكر لعمر وقت وفاته ولن يقوله من يعقل وإن قالوا صار أحدهما إماما بعد الآخر وهو قولهم قيل لهم فقد بطل الآن عليكم هذا الخبر إذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان أفصح العرب ولا يجوز أن يقول قولا محكم ولا غير مستقيم وذلك أن أبا بكر إن كان إماما بعد الرسول " ص " ثم كان عمر بعد أبي بكر بطل أن يقال كان عمر إماما بعد الرسول (ص) فإن قالوا إن إمامته كانت من بعد وفاة الرسول (ص) وإن كانت قد تقدمته إمامة غيره قيل لهم أوليس كانت إمامة عثمان بعد عمر وهذا كله من بعد وفاة الرسول (ص) أفتوجبون الاقتداء بإمامة عثمان وعلي عليه السلام كما توجبون الاقتداء بإمامة أبي بكر وعمر أو تدفعون ذلك فإن دفعوه وجبت عليهم البراءة من إمامة عثمان وعلي عليه السلام وفي ذلك الدخول في كلمة الخوارج والالتحاق بالبراءة والخروج من جملة ما عليه فقهاء أصحاب الحديث والأثر وكفى بذلك خزيا لصاحبه وفضيحة وإن قالوا بل نقتدي بعثمان وعلي كسبيل الاقتداء بأبي بكر وعمر قيل لهم قد أطلتم الآن حديثكم وأفسدتم خبركم ونقضتم قولكم وتركتم أصلكم وما فائدتكم في هذا الخبر وقد أوجبتم الاقتداء بغيرهما كالاقتداء بهما ممن لم يأمر الرسول " ص " بالاقتداء بهم بعده كأمره بالاقتداء بهما فكيفما قصدوا ليصلحوا باطلهم ففيه فضيحتهم وإن احتجوا في الاقتداء بعثمان وعلي بالخبر المتخرص (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) قيل لهم فالآن حين ساويتم بين أبي بكر وعمر وبين الصحابة في الاقتداء فلا فضيلة لهما على غيرهما في هذه المنزلة وفائدة

– اقتدوا بالذين من بعدي – مع ذلك ساقطة إذ كان قد أمرنا بالاقتداء بغيرهما أيضا كذلك، ونحن نذكر فساد خبر – أصحابي كالنجوم – في موضعه إن شاء الله وبالله التوفيق.

وأما ما رووا من أنهما سيدا كهول أهل الجنة فقد رووا حديثا آخر أبطلوا به هذه الرواية عند من فهم (١) وذلك أنهم رووا بإجماع منهم

---

(١) قال شيخ الطائفة الشيخ الجليل الفقيه محمد بن الحسن الطوسي الغروي رحمه الله في تلخيص الشافي ص ٤٢٩ ما نصه: أما الخبر الذي يتضمن أنهما سيدا كهول أهل الجنة، فمن تأمل أصل هذا الخبر بعين إنصاف علم أنه موضوع في أيام بني أمية معارضة لما روي من قوله – ص – في الحسن والحسين عليهما السلام أنهما سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما، وهذا الخبر الذي ادعوه يروونه عن عبيد الله بن عمر وحال عبيد الله في الانحراف عن أهل البيت عليهم السلام معروف وهو أيضا كالجار إلى نفسه، على أنه لا يخلوا من أن يريد بقوله سيدا كهول أهل الجنة أنهما سيدا كهول من هو في الجنة أو يراد أنهما سيدا من يدخل الجنة من كهول الدنيا، فإن كان الأول فذلك باطل لأن رسول الله ص قد وقفنا وأجمعت الأمة على أن جميع أهل الجنة جرد مرد وأنه لا يدخلها كهل وإن كان الثاني فذلك دافع ومناقض للحديث المجمع على روايته من قوله – ص – في الحسن والحسين عليهما السلام أنهما سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما لأن هذا الخبر يقتضي أنهما سيدا كل من يدخل الجنة إذ كان لا يدخلها إلا شباب فأبو بكر وعمر وكل كهل في الدنيا داخلون في جملة من يكونان عليهما السلام سيديه والخبر الذي رووه يقتضي أن أبا بكر وعمر سيداهما من حيث كانا سيدي الكهول في الدنيا وهما عليهما السلام من جملة من كان كهلا في الدنيا (فإن قيل) لم يرد بقوله (ص) سيدا شباب أهل الجنة ما ظننتم وإنما أراد أنهما سيدا من يدخل الجنة من شباب الدنيا كما قلنا في قوله سيدا كهول أهل الجنة (قلنا) المناقضة بن الخبرين بعد ثابتة لأنه إذا أراد أنهما سيدا كل شباب في الدنيا من أهل الجنة فقد عم بذلك جميع من كان في الدنيا من أهل الجنة من الشباب والكهول والشيوخ لأن الكل كانوا شبابا فقد تناولهم القول في غيرهما أنهما سيدا كهول أهل الجنة فقد جعلهما بهذا القول سيدين لمن جعلهما بالقول الأول سيديهما لأن أبا بكر وعمر إذا كانا شابين فقد دخلا فيمن يسودهما الحسن والحسين عليهما السلام بالخبر المروي والحسن والحسين (ع) إذا بلغا سن التكهل فقد دخلا فيم يسودهما أبو بكر وعمر بالخبر وإذا كانت هذه صورة الخبرين وجب العمل على الظاهر وفي الرواية المتفق عليها واطراح الآخر وذلك موجب لفضل الحسن والحسين عليهما السلام وأبيهما صلوات الله عليه على جميع الخلق.

الكاتب

ومن غيرهم أن الرسول – ص – قال – أهل الجنة يدخلون الجنة جردا مردا مكحلين – فإذا كانوا كذلك فلا كهول هناك ليكونا سيدهم، ولو كان هناك أيضا كهول كما زعموا في تخرصهم هل كانت إمامة أبي بكر وعمر ورياستهما على الكهول دون الشبان والمشايخ أو كانت على الجميع، فإن قالوا أنها كانت على الكهول دون غيرهم بانت فضيحتهم، وإن قالوا على الجميع، قيل لهم فالسيد في كلام العرب هو الرئيس وليس رياسة أجل وهما سيدا الجميع فلا فائدة في قول الرسول (ص) هما سيدا كهول أهل الجنة، ولعمري لو كان ذلك منه صحيحا بخستهما حقهما إذ قال هما سيدا الكهول، فالمشايخ والشبان بزعمهم خارجون، فهذا ما لا يشتغل به ذو فهم.

وأما ما احتجوا به في فضل أبي بكر وعلمه من روايتهم عن الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال بزعمهم (ليؤمكم أفضلكم وليؤمكم أعلمكم) وأنهم قد أجمعوا على تقديم أبي بكر وإمامته بزعمهم لما أجمع عليه الصحابة أنه أعلمهم وأفضلهم إذ كان إجماعهم لا يجوز أن يكون باطلا (فأقول) وبالله أستعين أن الذي تخرصوا فيه على الرسول (ص) من قوله بزعمهم ليؤمكم أعلمهم وأفضلكم لا يخلوا أن يكون أراد بذلك الإمامة في جميع الدين أو أراد به الصلاة دون غيرها وقد علمنا أن كل أهل بلد يحتاجون إلى من يصلي بهم ولا يجوز أن يصلي جميع أهل البلاد بإمام واحد بل لا يمكن ذلك لأهل بلد واحد حتى يكون لأهل كل محلة من يصلي بهم، وإذا كان ذلك كذلك فقد لزم الأمة أن يختاروا في كل بلد أعلمهم وأفضلهم للصلاة بهم وإذا لزمهم ذلك فقد يجوز أن يكون في بلد رجل واحد هو أعلمهم وأفضلهم فيمتنع عليهم أن يصلي بهم وإذا امتنع عليهم ذلك الفاضل فما يصنعون يقدمون غيره أم يهملون الصلاة جماعة ولا يجمعون صلاتهم، فإن قالوا يهملون الصلاة جماعة فقد قصدوا تعطيل سنة رسول الله (ص) في جميع الصلوات ونسبوا الرسول (ص) إلى أنه استن سنة فضل ثم بعثهم بهذا القول على تعطيلها، وقائل هذا جاهل، وإن قالوا أنهم يقدمون غير الفاضل إذا امتنع عليهم الفاضل، قيل لهم فقد ألزمتم الأمة جميعا خلاف الرسول (ص) فإذا جاز عندكم خلاف الرسول (ص) في هذا الحد فما في قوله من الفائدة إذا أجزتم تقديم غير الفاضل، وهل يخلو قول الرسول (ص) من أن يكون لأهل المدينة دون غيرهم أو هو لازم لجميع الناس في سائر البلدان، فإن قالوا لأهل المدينة خاصة كان على مدعي ذلك إقامة البينة والدليل عليه بخبر مجمع عليه عن الرسول (ص) ولن يجدوا إلى ذلك سبيلا، وإن قالوا بل هو لجميع الناس، فقيل لهم نجد جميع فقهائهم وعلمائهم في جميع الأمصار يقدمون للصلاة من هو دونهم في العلم والفضل عندهم، فإما أن تشهدوا على فقهائكم وعلمائكم بمخالفة الرسول

(ص) عامدين متعمدين ومن كان في هذه الصفة كان كل من أتبعه واقتدى به في مذهبه سبيله في الخلاف على الرسول (ص) كسبيله، وفي الخلاف على الرسول (ص) تعمد الكفر بالله والخروج من الدين، وكفى بهذا المذهب لصاحبه خزيا وفضيحة ومقتا. وإما أن ترجعوا إلى قولنا في تكذيب هذا الخبر وإنه ليس من قول الرسول (ص) إذ كان فيه تكلف ما لا يطاق والله لا يكلف العباد ولا رسوله ما لا يطيقون، وذلك أنه لو كان في بلد واحد عشرة من العلماء لكان على أهل ذلك البلد أن يميزوا بين العشرة حتى يختاروا للصلاة بهم أعلمهم وأفضلهم وهذا ما لا تهتدي العامة إليه أبدا لأن العامة لا تبلغ منازل العلم فتعلم إذا اختلف العلماء منهم من أعلمهم وأفضلهم لأن الفاضل منهم عند اختلافهم من كان معه الحق في الاختلاف فلو بلغت العامة معرفة الحق مع من هو منهم إذا اختلفوا لكان العامة عند ذلك أعلم منهم وأفضل، وهذا قول جاهل غير عليم سفيه غير حكيم وإن قالوا أن قول الرسول (ص) ليؤمكم أعلمكم وأفضلكم معناه الإمامة في جميع الدين فقد علمنا أن الإمامة في الدين لا تكون إلا لرجل واحد على جميع أهل الأمصار من بلدان المسلمين وهذا مما لا خلاف فيه، وإذا كان ذلك كذلك لزم حق النظر أن يجتمع جميع أهل البلدان في كل عصر وزمان حتى يمتحنوا جميعهم فيعلموا أعلمهم وأفضلهم فيختاروه للصلاة وهذا مما لا تطيقه الخلق وهو تكليف ما لا يطاق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ومع ذلك فلو أطاقه الخلف لزمهم تجهيل المهاجرين والأنصار جميعا عند إيجاب هذا الخبر وكذلك أن الإجماع واقع على المهاجرين والأنصار لم يجتمعوا لامتحان جميعهم حين ولوا أبا بكر أمرهم حتى علموا أن ليس فيهم أعلم من أبي بكر وإنما وقعت البيعة عقيب اختلاف وضجة وتنازع بين المهاجرين والأنصار كل منهم يذكر أنه أحق بالأمر من غيره ومع هذا كله وجدنا أبا بكر قد أقر على نفسه بغير خلاف بجهل كثير من العلم وأنه ضل عنه أحكام

كثيرة من أبواب الشريعة وأنه لم يكن يحفظ القرآن وذلك مثل قوله إنكم أن تكلفوني ما كان رسول الله (ص) يقوم به لعجزت عنه فإن الرسول يأتيه الوحي من الله وكان موفقا مسددا وأني أقول من عند نفسي فإن أصبت فمن الله ورسوله وإن أخطأت فمن نفسي ومن كان يقول من عند نفسه والله سبحانه يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) وقال (ما فرطنا في الكتاب من شئ) وقال (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة) فإذا كان قد أكمل الدين ولم يفرط في الكتاب من شئ ونزل الكتاب تبيانا لكل شئ فقد جمع العلم في كمال الدين والكتاب المبين، ثم لا يخلو ما كان يقوله من عند نفسه من أن يكون من الدين أو من غير الدين فإن كان من الدين فقد يجب بزعمكم الله بعث رسوله بشريعة ناقصة ودين غير كامل حتى أتم ذلك أبو بكر من عنده بخطأ أو بصواب وقائل هذا كافر بالله تعالى ورسوله، ومع ما يلزم من تكذيب الله تعالى في قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) وهذا القول من أبي بكر يوجب أن الله لم يكمل الدين كما أخبر إذ احتاج أن يقول فيه من عند نفسه ومن كان كذلك فقد كذب الله سبحانه في أخباره ومن كذب الله مات كافرا بغير خلاف، أو أن يكون يقول إنه أكمل الدين كما أخبر ولم يحط أبو بكر بعلمه وكان غيره أعلم منه وفي هذا نقض لحجتهم أنه كان أعلمهم، وإن قالوا أن الذي كان يقوله أبو بكر من عند نفسه ليس هو من الدين قيل لهم فما حاجتنا إلى شئ ليس هو من الدين وإذا لم يكن من الدين فهو من البدع وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وكفى بهذا لصاحبه خزيا.

ومن ذلك إقراره على نفسه بالجهل أنه لما أراد جمع القرآن طلب على ذلك شهودا فدل بذلك على أنه لم يعرف القرآن ولو كان عارفا به لما احتاج إلى شهود عليه ولا إلى جمعه من عند غيره ومن لم يعرف تنزيل القرآن كان محالا أن يعرف تأويله ومن لم يعرف التنزيل ولا التأويل فهو

جاهل بأحكام الاسلام، ومثل قوله وددت أني كنت سألت رسول الله عن الكلالة ما هي وعن الجد ما له من الميراث وعن هذا الأمر لمن هو فكان لا ينازع فيه، فهذا قول جاهل بأحكام الشريعة وتأويل القرآن المبين وقد اختلفوا في أحكام الكلالة وأهل المواريث من الجد وغيره اختلافا ظاهرا موجودا يدل من فهم على جهلهم بأحكام الشريعة، وأما أمر عمر فلا يجهله الصبيان ولا النسوان في إقراره على نفسه بالجهل والتخلف عن معرفة الأحكام وحدود الدين كقوله في غير موطن (لولا علي لهلك عمر) و (لولا معاذ لهلك عمر) (١) هذا مع ما روايتهم ما لا يختلفون فيه من حاجتهما جميعا إلى علي ابن أبي طالب عليه السلام في غير حكم تحيرا فيه وكفى بهذه الأحوال منهما جهلا بالدين.

وأما الفضل فقد رووا جميعا أن أبا بكر قال وليكم ولست بخيركم وعلي فيكم (٢) فأقر أبو بكر على نفسه بغير خلاف أنه ليس بخيرهم وأولياؤه

---

(١) أما قوله لولا علي لهلك عمر فقد اعترف فيه الفريقان وأن عمر قال هذه المقالة في مواطن كثيرة ومنكر ذلك مكابر جاحد للحق وأما قوله لولا معاذ لهلك عمر فقد أورده ابن حجر العسقلاني في الإصابة عند ترجمة معاذ ابن جبل فراجع.

(٢) قال شيخ الطائفة الطوسي محمد بن الحسن رحمه الله في تلخيص الشافي (٤١٥) روي عن عمر أنه قال مختارا وليتكم ولست بخيركم فإن استقمت فاتبعوني وإن اعوججت فقوموني فإن لي شيطانا يغتريني فإذا رأيتموني مغضبا فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم ودلالته من وجهين أحدهما أن هذه صفة من ليس بمعصوم ولا يأمن الغلط على نفسه ومن يحتاج إلى تقويم رعيته إذا واقع المعصية وقد بينا أن الإمام لا بد أن يكون معصوما والوجه الآخر أن هذه صفة من لا يملك نفسه ولا يضبط غضبه ومن هو في نهاية الطيش والحدة والخرق والعجلة ولا خلاف أن الإمام يجب أن يكون منزها عن هذه الأوصاف وليس لهم أن يقولوا أن ذلك فيه على سبيل الخشية والاشفاق وذلك أن مفهوم خطابه يقتضي خلاف ذلك ألا ترى أنه قال إن لي شيطانا يعتريني وهذا قول من قد عرف عادته ولو كان على سبيل الاشفاق والخوف لكان؟ يقول إني لا آمن من كذا وإني لمشفق منه.
" الكاتب "

كذبوا ولا محيص لهم عن أحد الوجهين وقد شرحنا وبينا وأوضحنا من فساد هذا الخبر الذي زعمه أهل الغفلة أن الرسول (ص) بزعمهم قال (ليؤمكم أعلمكم وأفضلكم) وأنه ليس من حكم الرسول (ص) أن يأمر بذلك ما فيه كفاية لأولي الألباب إذا كان الأعلم والأفضل من أمة الرسول (ص) أعلم به منهم وأعرف. فإذا كان ذلك كذلك وجب أن يختاروا هو لهم الأفضل والأعلم فيقيمه عليهم ولا يكلفهم اختيار ما لا تبلغه عقولهم ولا تكمل له أفهامهم ولا تتفق عليه آراؤهم ولا تجتمع عليه أهواؤهم إذ جعل الاختيار في ذلك إليهم مع إجماع علماء العامة وفقهائهم على تجويزهم تقديم من غيره أعلم منه وأفضل. ومن أدل الدليل على إبطال هذا الخبر خروجه عن شريعة الاسلام بقصدهم وإجماعهم على مخالفة الرسول (ص) عامدين متعمدين وهذا ما لا محيص لهم منه، والحمد لله رب العالمين على ما من به علينا من هدايته.

وأما ما رووا من أن الرسول (ص) قال بزعمهم إني رأيت مكتوبا على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين، فسبحان الله ما أعظم هذا التخرص وأفظع هذه الرواية وأقبحها عبد ذي فهم أن يكون جل اسمه يكتب اسمه واسم رسوله الطاهر المطهر الذي لم يعصه طرفة عين أبدا في دقيقة ولا جليلة على عرشه ويكتب معه أسماء من كانوا على عبادة الأوثان والكفر بالرحمن أكثر أعمارهم، هل هذا إلا من تخرص الملحدين وتزيين الشياطين، والويل كل الويل

لمن استجاز مثل هذا الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما ما رووا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال بزعمهم يوم بدر بد لو نزلنا علينا العزاب ما نجا إلا ابن الخطاب، فما عند ذوي الفهم أجهل وأضل وأعمى قلبا ممن استجاز رواية هذا واستحسن نقله منهم إذ لو كان ذلك لأوجب هلاك الرسول (ص) بالعدا ونجاة ابن الخطاب الذي كان يقول (لولا علي لهلك عمر) (ولولا معاذ لهلك عمر) فكيف يسلم من الهلكة من كان بزعمهم لا يسلم من الهلاك دونه، ومع هذا فمن قولهم المنكوس أن أبا بكر أفضل من عمر وقد أوجبوا إهلاكه لو نزل العذاب ونجاة عمر، فالذي كان ينجو ويسلم من العذاب لو نزل يجب أن يكون أفضل ممن كان يهلك به، وهذا الخبر يوجب أن عمر أفضل من الرسول (ص) وأبي بكر وجميع الخلق فلما كان أولياؤهما مخالفين لهم في تفضيل أبي بكر عليه كانوا قد صرحوا بتكذيب علمائهم المتخرصين لهم هذا الخبر وما يشاكله من أخبار الملحدين، ولا يبعد الله إلا من ظلم وقال ما لا يعلم ومثله في ظاهر الحال وفظيع المقال ما رووا أن الرسول (ص) قال بزعمهم " ما أبطأ عني الوحي إلا ظننته سينزل على عمر " فهل رووا أو سمعوا أن الله عز وجل عزل نبيا من أنبيائه عن نبوته أو رسولا عن رسالته أم هل يجوز أن يجعل الله عبدا من عباده نبيا بعد عبادة الأوثان وسجوده من دون الله للأصنام أكثر عمره. وهل كان يبلغ من جهل الرسول (ص) بنفسه ما كان يتوقع من العزل من الله عن النبوة وتصيره عبدة الأصنام أنبياء ورسلا أشهد أن قائل هذا ومعتقده ومستحسن روايته كافر بالله وخارج من كل دين ومستحق لأليم عذاب الله.

ومثله في الكذب الواضح ما رووا أن الشيطان كان يهاب من عمر ويهرب منه ويخاف من حسه (١) وفي زمان عبادته وعكوفه على الأوثان

---

(١) روى هذا الحديث وأمثاله المحب الطبري في الرياض النضرة ج ١ ص ٢٠٨ إلى ص ٢٠٩ " الكاتب "

وكفره بالرحمن لم يكن ذلك كله من تزيين الشيطان، فأول ما يلزمهم في هذا الخبر تكذيب الله عز وجل ومن كذب الله كفر بالاجماع وذلك أن الله تعالى يقول في قصتهم يوم أحد حين انهزموا وتركوا الرسول (ص) (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) فلم لم يهب عمر حين استزله معهم حتى هرب في جملة الهاربين ولم يخف الشيطان حسه ولم يهرب منه وهو يعدو في الجبل هاربا كما روى أولياؤه عنه أنه قال (رأيتني يوم أحد وأنا أعدو في الجبل منهزما مثل أروى (١) ومثل هذا لا يشتغل بالنظر فيه والاستماع له ذو فهم، ومثله في الكذب والمحال روايتهم أن السكينة تنطق على لسان عمر (٢) فهل يظن ذو فهم من كانت السكينة تنطق على لسان يخطئ ويزل حتى ينادي على نفسه لولا فلان لهلك فلان، وأنه قال على المنبر يوما لا يتجاوزن

---

(١) أروى بفتح الهمزة بعدها راء مهملة ساكبة ثم واو مفتوحة بعدها ألف مقصورة بوزن فعلي وهو جمع أروية بضم الهمزة وإروية بكسر الهمزة ضأن الجبل يستعمل للذكر والأنثى.

(٢) ذكر هذه الرواية المحب الطبري في الرياض النضرة في ترجمة عمر كما أنه روى بطرق عديدة أن الحق ينطق على لسان عمر، قال السيد الجليل المرتضى علم الهدى رحمه الله في الشافي ص ١٧٩ - ص ١٨٠ في رده على قاضي القضاة (ما نصه) وأما ما رواه من قوله أن الحق ينطق على لسان عمر فهو مقتض إن كان صحيحا عصمة عمر والقطع على أن أقواله كلها حجة وليس هذا مذهب أحد عي عمر لأنه لا خلاف في أنه ليس بمعصوم وأن خلافه سائغ وكيف يكون الحق ناطقا على لسان من يرجع في الأحكام من قول إلى قول ويشهد على نفسه في الخطأ ويخالف في الشئ ثم يعود إلى قول من خالفه فيوافقه عليه ويقول لولا علي لهلك عمر ولولا معاذ لهلك عمر، وكيف لم يحتج بهذا الخبر هو لنفسه في المقامات التي احتاج إلى الاحتجاج فيها وكيف لم يقل أبو بكر لطلحة لما قال له ما تقول لربك إذا وليت علينا فظا غليظا أقول له وليت من شهد الرسول بأن الحق ينطق على لسانه، وليس لأحد أن يدعي في الامتناع من الاحتجاج بذلك سببا مانعا كما ندعيه في ترك أمير المؤمنين عليه السلام الاحتجاج بذلك بالنص لأنا قد بينا فيما تقدم أن لتركه عليه السلام ذلك سببا ظاهرا وهو تآمر القوم عليه وانبساط أيديهم وأن الخوف والتقية واجبان ممن له السلطان ولا تقية على عمر وأبي بكر من أحد لأن السلطان كان فيهما ولهما والتقية منهما لا عليهما، على أن هذا الخبر لو كان صحيحا في سنده ومعناه لوجب على من ادعى أنه يوجب الإمامة أن يبين كيفية إيجابه لذلك ولا يقتصر على الدعوى المحصنة. الكاتب

أحدكم بمهر امرأته بأكثر من أربعمائة درهم إلا أديته – أو قال عاقبته – فقامت إليه امرأة فقالت يا عمر يقول الله في كتابه (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا)
فرضي الله سبحانه لنا قنطارا وتعاقب أنت من تجاوز أربعمائة درهم فينا فقال عند ذلك عمر (الناس كلهم أفقه من عمر حتى المخدرات استغفر الله من ذلك (١) روى أولياؤه أنه مر على صبيان يلعبون فقال ما رأينا

---

(١) أورده بطرق عديدة العلامة المفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفى سنة ١١٦٢ في كشف الخلفاء ج ٢ ص ١١٧ من طبع مصر، ولمن يلفظ (كل أحد علم – أو أفقه – من عمر) وذكر أن عمر قال ذلك في قصة المرأة الت ي اعترضته في المهر، ثم ذكر القصة بطرق عديدة " ثم قال " رواه أبو يعلى في مسنده الكبير عن مسروق والبيهقي في شعبه وأخرجه عبد الرزاق عن أبي العجفاء السلمي.
" الكاتب "

خيرا منذ فارقناكم فقال له صبي منهم مه يا عمر أتقول هذا وقد رأيت رسول الله وهو الخير كله فأخذ عمر ترابا ووضعه فوق فيه وقال كل الناس أعقل من عمر حتى الصبيان، فأين السكينة التي تنطق على لسان عمر سبحان الله ما أعظم جهلهم وأبين كذبهم وأوضح محالهم.

وأعجب من هذا روايتهم أن الشيطان كان لا يأمر بالمعاصي أيام عمر خوفا أن ينهى عنها فلا يعود فيها أحد أو تتخذ سنة فهل يكون في الجهل أفظع من جهل من يستحسن رواية مثل هذا أن يكون الشيطان لم يخف من نهي الله ونهي رسوله (ص) عن المعاصي وهما يناديان في الكتاب والسنة بالنهي عنها والوعيد عليها ويخاف من نهي عمر عنها أتظنون أن أحدا لم يزن في عهد عمر ولا شرب خمرا ولا ارتكب شيئا من المعاصي فلم جعل عمر بزعمكم في شرب الخمر الحد ثمانين جلدة وتجاوز فيه حد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأربعين إلى الثمانين فزعم أولياؤه أن الناس كانوا يبالغون في شربها ففعل ذلك عمر ليرتدعوا عنها، أفترى أن شرب الخمر لم يكن من المعاصي أو لم يكن ذلك من تزيين الشيطان والله عز وجل يقول (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) الآية، فجعل الخمر من حبائل الشيطان فما أقل تمييزهم وفهمهم طهر الله الأرض منهم.

وأقبح من هذا كله روايتهم لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر، فتعالى الله جل ذكره عن أفك الآفكين والويل لهم، إن عمر كان رجلا يعبد الأوثان من قبل بعث رسول الله (ص) بسنين كثيرة ويسعى في عداوة رسول الله (ص) ومكروهه وكان يظن الرسول (ص) أنه كان جائزا أن يبعثه الله نبيا في تلك الحال وقد علم ذو الفهم أن لا عقل أنقص ولا أقل ولا أوضع من عقل من يعبد غير الله من دون الله سيما من يعبد حجرا منحوتا أو خشبا منجورا.

ومثله في الكذب والمحال وفظيع المقال روايتهم أن عمر نادى في المدينة يا سارية الجبل وهو بنهاوند فسمع سارية وهو بنهاوند صوته حين وقعت عليه الهزيمة وعلى أصحابه وهو يقول يا سارية الجبل يا سارية الجبل فهذه معجزة من أجل معجزات الرسل والأنبياء عليهم السلام لو ظهرت منهم ولم يجد مثلها لأحد منهم ولعمري لو ظهرت منهم ما استبعدنا ذلك ولا استعظمناه منهم ولكنها عند كثير من الناس من المحاولات ولو رويت، ومن كان في محل من يأتي بمثل هذه المعجزة من المحال أن لا يأتي باية دونها ومثلها وفوقها، فلما لم يجد القوم نظيرا لها من المعجزات ولا ما هو دونها ووجدنا أيضا مع ذلك أولياؤه إذا طولبوا بالاقرار أنه قد كان له أو لمن تقدم من صاحبه الذي هو عندهم أفضل منه معجزة أنكروا أن تكون المعجزات إلا للرسل وكان هذا كله دالا على إبطال تخرصهم، على أنا قد رأينا جماعة من فقهاء أصحاب الحديث ينكرون صحة هذا الخبر ويبطلونه ويطعنون على الراوي له وفي هذا كفاية لمن فهم ونظر.

وأظهر من هذا الخبر كذبا وأبين منه محالا ما رووه تخرصا وافتراء أن الرسول (ص) قال بزعمهم اللهم أعز الاسلام بأعز الرجلين إليك بعمر أو بأبي جهل بن هشام، فسبحان الله ما أجسرهم على الله بما يتخرصون من الكذب والافتراء عليه وعلى رسوله وهل يجوز عند أهل النظر والفهم أن يكون رسول الله " ص " الذي جعله حجة بينه وبين خلقه يقوم فيهم مقامه فيوجب لمن اتبعه النعيم المقيم ولمن عصاه العذاب الأليم بمحل من هذا الجهل حتى يسأل الله سبحانه أن يعز الاسلام وهو دينه الذي ارتضاه لعباده المؤمنين بأحد رجلين معاديين لله ورسوله متظاهرين بالكفر والالحاد والعتو والعناد وبعبادة الأوثان والعداة لأولياء الرحمن أليس قد أوجب من تخرص هذا الخبر أن يكون عمر أجل منزلة في العز المنيع والقدر الرفيع عند الله من رسوله (ص) إذ كان لم يعز دينه برسوله

وأعزه بعمر ثم هم يزعمون مع ذلك أن أبا بكر كان أفضل منه وقد أسلم من قبله بسنين كثيرة فلم يعز الله به الدين حتى أعزه بعمر، أفليس يلزم في حق النظر أن يكون من أعز الله به الذين أفضل ممن لم يعزه به قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وهذا سبيل في التخرص والافتراء كسبيل روايتهم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن تولوها أبا بكر تجدوه قويا في دين الله ضعيفا في نفسه وإن تولوها عمر تجدوه قويا في دين الله قويا في نفسه (١) فانظروا يا أهل الفهم هل يكون في الجهل أبين من جهل من زعم أن رسول الله (ص) شهد لرجل بقوة في الدين وقوة في نفسه وأخبر عن آخر بزعمهم بقوة في الدين وضعف في نفسه ثم هم مع ذلك يزعمون أن من كان قويا في الدين ضعيفا في نفسه أفضل ممن هو قوي في الدين قوي في نفسه إلا يعلم ذو الفهم أن من كان قويا في الحالين أفضل ممن كان قويا في حال واحد ثم هم أيضا

---

(١) قال الشريف الجليل علم الهدى السيد المرتضى في الشافي ص ٢٤٥ وشيخ الطائفة الشيخ الطوسي في تلخيص الشافي ص ٤٢٠ أما ما روى من قوله وإن وليتم عمر تجدوه قويا في أمر الله قويا في بدنه فهذا لو ثبت لدل على صلاحه للإمامة لكون دون ثبوته خرط العتاد؟ فإنه خبر واحد لا يقطع على صحته، وأقوى ما يبطله عدول أبي بكر عن ذكره والاحتجاج به لما أراد النص على عمر فعوتب على ذلك وقيل له ما تقول لربك، إذ وليت علينا فظا غليظا ولو كان صحيحا لكان يحتج به ويقول وليت عليكم من شهد النبي (ص) بأنه قوي في أمر الله قوي في بدنه، على أن ظاهر هذا الخبر يقتضى تفضيل عمر على أبي بكر والاجماع بخلاف ذلك لأن القوة في الجسم فضل قال الله تعالى إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فكيف يعارض ما علمناه من عدوله عن توليته بهذا الخبر المردود والمدفوع " الكاتب "

يروون عن عمر أنه قال (وددت أني شعرة في صدر أبي بكر ما أردت حالا في الخبر إلا وجدت أن أبا بكر قد سبقني إليها ولقد كنت أبادر إذا أمر رسول الله بشئ من افعال الخير طمعا في أن أسبق أبا بكر إليه فأجده قد سبقني إلى ذلك) فإن كان هذا الخبر صحيحا فالأول باطل لأن من كان يجهد ويتعمد السبق إلى خصلة من خصال الخير فيجد غيره قد سبقه إليه فالسابق بغير تكلف أقوى في نفسه ودينه جميعا ممن يتكلف فلا يسبق، فليس نجد بحمد الله ومنه من أخبارهم إلا ومعه خبرا آخر ينقضه ويبطله، وهذا لعمري سبيل الباطل تنضاد أخباره وتختلف تمثيلاته حتى لا يثبت له أصل ولا يتم له فصل عند ذوي الفهم والتمييز، وإن كان سبقهما وتسابقهما إلى أفعال الخير نزعمهم عند نزل هذه الآية إذ قال (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فأجمعت الأمة أنهما وجماعة من المهاجرين والأنصار تخلفوا عن مناجاة الرسول (ص) عند ذلك غير علي ابن أبي طالب عليه السلام، هذا ما ما يلزمهم أيضا في قول عمر أنه كان يتعمد في مسابقة أبي بكر لأنه كان رجلا حسودا لا خيرا في الدين وكان يحسد أبا بكر على سبقه ويجهد أن يتقدمه بزعمهم في السبق فلا يتهيأ له وقد رووا جميعا أن الرسول (ص) قال إن الخلود في النار، ومع ذلك فيقال لهم أخبرونا عن هذا الرجل الذي زعمتم أن الله عز وجل أعز الاسلام به هل تجدون له مقاما في شئ من المغازي ومجاهدة المشركين ومبارزة الأبطال من الكفار أو كشف في ذلك كربة عن رسول الله (ص) أو عن المسلمين أو أقام في شئ من ذلك مقام المحمودين فلا تجدون إلى ذلك سبيلا بل تجدون هزيمته وفراره في كثير من المواطن التي كان فيها مع رسول الله (ص) ظاهرا ذلك مشهودا في أخبار أوليائه. ودون ما شرحناه من فساد هذه الأخبار المتخرصة كفاية ومقنع ونهاية.

ومثل روايتهم عن ابن مسعود أنه قال لما قتل عمر (ذهب تسعة أعشار

العلم) فما هو بمستنكر من ابن مسعود أن يقول هذا فيه وقد جعله معلما لأهل العراق بشرائع الاسلام بزعمه بأجرة حرام من مال حرام فاستطاب ابن مسعود ذلك فأكله مسارعا فيه وإليه على ما تقدم من شرحنا في قصص المهاجرين والأنصار والمعلمين والمصلين والمؤذنين، وسواء عندنا قاله ابن مسعود في عمر أو قاله في نفسه فلا لمديحه ولا لذمه عندنا من المحل ما نشتغل به ولا ننظر فيه إذ كان ممن استحل أن يأخذ على تعلم الدين الأجرة الحرام من المال الحرام المأخوذ من الناس ظلما وجورا من أبواب الخراج المخالفة لدين رسول الله (ص) وحدود شريعته.

وليس هذه الرواية عن ابن وأشكاله بأعظم ولا أفظع من روايتهم إن شاعرا كان عند رسول الله (ص) وأشار إلى الشاعر بالسكوت فسكت حتى خرج عمر ثم استعاده النشيد فعاد عمر فأسكته فلما خرج استنشده حتى فعل ثلاث مرات كلما جاء عمر بالسكوت وإذا خرج استنشده، قال الشاعر يا رسول الله من هذا الذي إذا جاء اسكتني وإذا خرج استنشدني فقال هذا عمر بن الخطاب وهو رجل يكره الباطل، وهذه الرواية مع منافاتها من مناقبه السامية عندهم فلم يتخوفوا في تخرصهم أن ينسبوا رسول الله (ص) إلى محبة الباطل واستدعائه استماعه ونزهوا عمر عنه وعن سماعه فهل يستحسن رواية مثل هذا من يؤمن بالله ورسوله، فهل يروي هذا من لهم قلوب يفقهون بها أو أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون بها زادهم الله عما إلى عماهم وضلالا وعجل تطهير البلاد وأرواح العباد منهم.

ومن تخرصهم أنهم رووا أن عشرة في الجنة منهم عمر بن الخطاب، إذ كان من خالف كتاب الله وغير سنن رسول الله (ص) كما قدمناه ذكره في باب بدعه يكون في الجنة فجائز القائل غدا أن يقول أن فرعون وهامان أيضا في الجنة.

ومثل روايتهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رأيت قصرا في الجنة من ذهب فأعجبني فقلت لمن هذا القصر قيل لفتى من قريش قلت من هو قيل عمر بن الخطاب فما منعني من دخوله إلا ما أعرف من غيرتك فيا سبحان الله إلا ينظر ذو الفهم في عجائب ما يأتون من محالاتهم، فهل أعجب رسول الله (ص) قصرا رآه لغيره مما لم ير لنفسه مثله، فإن قالوا إنه ليس لرسول الله (ص) مثله في الجنة كفروا بغير خلاف وإن قالوا أيضا أنه مثل قصر رسول الله (ص) ساووا بن منزلة رسول الله (ص) ومنزلة عمر، وقال هذا كافر بالله وبرسوله فإن الله لم يجعل منازل أنبيائه ورسله كمنزلة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يجعل ذلك لعمر، وإن قالوا أن قصر رسول الله (ص) في الجنة أفضل منه وأجل فما الذي أعجب رسول الله (ص) من قصر عمر وما كان حاجته إلى دخوله وله أفضل منه وأعلى درجة وأرفع منزلة، قبحهم الله وقبح ما يأتون به من فضائحهم وتخرصهم لئن قالوا أن عمر كان غيورا فقد أخرجته غيرته هذه إلى فساد شريعة الله وتغيير سنة رسول الله (ص) ومعاقبة من يقتدي برسول الله (ص) في ذلك إذ قال متعتان كانتا عهد رسول الله وعهد أبي بكر حلالا أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء، فلو أنهم ممن يسمع أو يعقل لما استحلوا رواية مثل هذه المتخرصات من الأحاديث المنكرات لكنهم كما قال الله عز وجل " صم بكم عمي فهم لا يعقلون "

ومثل روايتهم أن الرسول " ص " قال إن أهل الجنة ليتراؤن في عليين كما يترائ الكوكب الدري لأهل الأرض وإن أبا بكر وعمر لمنهم ولعمري أن الخبر في ترائي أهل عليين من أهل الجنة لصحيح ولكن الزيادة فيه من الكلام المختلق يعلمه من هو ذو فهم، وما الحال الذي أوجب ذكر هذين دون غيرهما فإن كان لغيرهما من الصحابة تلك المنزلة فهذا ليس من العدل أن يذكر رسول الله (ص) بعض أهل تلك المنزلة ويمسك عن ذكر

الباقين من غير علة وهم حضور عنده كحضور ممن ذكرهم أو يوحنون تلك المنزلة لهما دون غيرهما فيكذبون على رسول الله إذ قال أن أبا بكر وعمر لمنهم وأن قوله لمنهم
يوجب أن يكونا هما هناك كغيرهما وما يوجب أن يكونا هما أحق بتلك المنزلة من غيرهما من أصحاب الرسول (ص) وإذا كان كذلك فقد ظلم رسول الله
أهل تلك المنزلة من غيرهما من أصحابه إذ ذكر هذين بزعمهم ولم يذكر الباقين، ومن يظن هذا وشبهه برسول الله (ص) أو يقصد في مذهبه إلى ما يدعو
إلى تكذيب رسول الله (ص) وإلى الظلم فهو كافر بالله خارج عن كل دين لله
وأما ما رووا أن رسول الله (ص) قال بزعمهم أن الله جعل لعثمان نورين
فليس يخلو الحال في ذلك من أن يكون جعل الله له النورين في الدنيا وفي الآخرة أم جعل له نورا في الدنيا ونورا في الآخرة، فإن قالوا أنه
جعل له في الدنيا نورا وفي الآخرة نورا قيل لهم أوليس كل مؤمن كذلك
فإن كذبوه فقد كذبهم قول الله عز وجل حيث يقول: " أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس " وقوله: " ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور " وقوله: " والذين آمنوا به " يعني رسول الله (ص)
" وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك، وقال في نور الآخرة
" يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم
يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم
قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا " الآية، وقال: " يوم لا يخزي الله
النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم " الآية، فإن قالوا إن لكل مؤمن كذلك قيل لهم فما فضل عثمان على غيره في هذه المنزلة وما الفائدة في هذا القول من الرسول (ص) إن كان عثمان مؤمنا فسبيله في النور كسبيل سائر المؤمنين في الدنيا والآخرة ولا فضيلة له في ذلك ولا فائدة ترد

بذكره في ذلك ورسول الله (ص) أحكم من أن يقول قولا لا فائدة فيه، فإن قالوا أراد بذلك إظهار إيمان عثمان ومنزلته في الدين قيل لهم أوليس قد كان هناك من الصحابة من هو مثل عثمان ومن هو أفضل منه مثل أبي بكر وعمر بزعمكم فما باله خص عثمان بهذا الذكر ثم منع الباقين أيقولون أنه حاباه دونهم فليس هذا من صفة الرسول (ص) ولا من صفة الحكماء أو يقولون أن الرسول – ص – ظلم الباقين حين لم يذكرهم بإظهار الإيمان كما ذكر من هو مثلهم في الدين والإيمان فقائل هذا كافر وإن قالوا أن النورين جعلهما له في الدنيا والآخرة قيل لهم أوليس أبو بكر وعمر عندكم أفضل من عثمان فلا بد من أن يقولوا نعم إذ كان هذا أصلهم فيقال لهم فهل جعل الله لهما نورين لكل واحد منهما فإن قالوا نعم فقل لهم فلم ذكر رسول الله – ص – عثمان بهذه الحال ولم يذكرهما ولم يسمها ذا النورين وهل هذا منكم إلا تخرص وافتراء، فإن قالوا إن الله لم يجعل لهما نورين كما جعل لعثمان قيل لهم فمن جعل الله له نورين يجب أن يكون أفضل ممن جعل الله له نورا واحدا فإن منعوا ذلك بأن جهلهم وظهرت فضيحتهم وإن أجازوا خرجوا عن أصولهم وفارقوا مذهبهم إذ كان من قولهم إن أبا بكر وعمر كانا أفضل من عثمان، ومن اظطر في مذهبه إلى مفارقة أصله والمقام على فضيحته فكفى له بذلك خزيا.

وما ما رووا من تزويج عثمان من الابنتين فقد شرحنا من قصتهما متقدما في ذكر غلط هند بن أبي هند التميمي في نسبهم وما دخل عليهم من الشبهة فيما بين خديجة وبين أختها هالة ما فيه كفاية لمن فهم.

وأما ما احتجوا به من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان لو كانت عندي ثالثة ما عدوناك، فلو علموا ما عليهم في ذلك لأقصروا عن ذكره وذلك أنه إن كان تزويج الرسول – ص – فخرا لمن زوجه ففي رده عن التزويج ذم ونقص على رده، وقد أجمعوا في روايتهم أن أبا بكر

خطب فاطمة عليها السلام فرده عن تزويجها ثم خطبها عمر فرده كذلك فإن قالوا أنه لم ير أبا بكر وعمر موضعا للتزويج ببناته ورأى عثمان موضعا لذلك وأهلا له ففي حق النظر أن يكون عثمان أفضل منهما فإن أجازوا فضل عثمان عليهما بانت فضيحتهم في مذهبهم المكوس؟، وإن قالوا أن تزويج رسول الله (ص) ومنعه أبا بكر وعمر من ذلك لا يوجب فضلا لعثمان عليهما ولا ذما لهما في ردهما، قيل لهم فذلك أيضا لا يوجب لعثمان فضلا على غيره بهذا التزويج، وفي هذا كفاية لأولي الألباب.

وأما روايتهم أن عثمان جهز جيش العسرة بمال عظيم من عنده ففي تحقيق نقض روايتهم وما أنزل الله في كتابه من قصة جيش العسرة ما يدل على خلاف ما ادعوه في ذلك.

إن جيش العسرة هو الجيش الذي خرج به رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة تبوك وكان الجيش يومئذ مع رسول الله (ص) خمسة وعشرين ألفا غير الاتباع، وقد وجدنا في روايتهم أن رسول الله (ص) استدعي من الناس تقوية من لا قوة له من المسلمين فقال عثمان علي مائة راحلة فساق إلى رسول الله (ص) مائة راحلة ففرقها على قوم المسلمين ثم استدعى رسول الله (ص) التقوية من الأقوام فقال عثمان وعلي مائة راحلة أخرى فساقها إليه ففرقها كذلك ثم لم يذكر له رسول الله (ص) أكثر من ذلك فإذا سلمنا لهم روايتهم في هذا فلا حجة لهم علينا بعد ذلك، وإذا صح لعثمان دفع مائتي راحلة في جيش العسرة فإنما يجوز أن يكون المائتا راحلة لمائتي رجل أو أربعمائة رجل كم هم من خمسة وعشرين ألفا فلا يجوز أن يقولوا جهز جيش العسرة من ماله، وهذا الذي ذكرناه من المائتي راحلة جميع ما كان منه في ذلك على تقدير تسليم روايتهم وقد أنزل الله سبحانه في سورة التوبة يصف قوما جاؤوا إلى رسول الله (ص) في جيش

العسرة يسألونه أن يحملهم ويقويهم بما يستعينون على الجهاد ولم يكن عند رسول الله (ص) شئ مما يقويهم به فرخص لهم في التخلف عنه إذ لم يجد ما يقويهم وتلك حال ضرورة فانصرفوا عنه يبكون أسفا منهم على الجهاد وما يفوتهم منه لضعفهم فوصفهم الله عز وجل في كتابه فسموا الباكين فقال سبحانه " ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم. ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا إلا يجدون ما ينفقون " وقد علم جميع أهل الأثر أن عثمان كان أكثر الصحابة يومئذ مالا فما باله لا يجهز أولئك الضعفاء الذين كانوا راغبين في الجهاد وقد كان يمكنه ذلك أفلا ترى إلى فساد كل ما يدعونه وكيف يرشد الله أولياؤه المؤمنين إلى معرفته وكشف باطله وإظهار تخرصهم ولله المنة على أوليائه فيما أرشدهم إليه من هدايته.

ومثله من كذبهم في روايتهم أن رسول الله (ص) قال بزعمهم من يشتري بئر رومة وله الجنة فاشتراها عثمان من ماله وجعلها للسبيل، أفرأيت لو سلمنا لهم اشتراءه لبئر رومة من أين لهم صحة ما ادعوه من ضمان رسول الله (ص) له الجنة على ذلك وخصومهم يمنعونهم من ذلك، وإذا وجدت أفعال عثمان مخالفة لأفعال من يستحق الجنة كان محالا أن يكون الرسول (ص) جهل معرفة ذلك حتى يضمن له الجنة وهو غير مستحق لها. وقد وجدنا من أفعاله وبدعه وتعطيله لحدود الله وما أوجبه الله في دينه ما قد شرحناه متقدما في باب بدعه ما يدلنا ومن كان من ذوي الفهم على أن ما ادعوه من ضمان رسول الله – ص – له بالجنة باطل وزور وبهتان وتخرص وافتراء ولسنا مع ذلك بزعمهم نمنع عن شراء بئر رومة ولا عن أكثر منها إذا كان غير نافع لمن لم يعمل عملا صالحا ويمهد مهادا راجحا والله لا يصلح

عمل المفسدين، ولو كان لما ادعوه أصل وصحة لكان الله قد ذكر ذلك في كتابه العزيز ومدحه به بما يزول معه الشك والشبهة كما مدح صاحب أقراص الشعير الذي أطعم المسكين واليتيم والأسير وكان ذلك دون ثمن بئر رومة فلما علم الله أن ذلك اليسير من أقراص الشعير التي أطعم بها المسكين فعلها أمير المؤمنين عليه السلام خالصا لوجه الله أنزل فيها سورة مفردة وهي (هل أتى على الإنسان) تشهد لهم بالجنة وأن ذلك كان منهم لوجه الله خالصا مخلصا فقال عز وجل يحكي ما كان في صدورهم ونياتهم ثنا عليهم (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) ثم قال (فوقاكم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) ولو كان عثمان أيضا اشترى بئر رومة لوجه الله كما زعم أولياؤه وضمن له (ص) على ذلك الجنة لكان قد ذكر في كتابه العزيز كذكر أقراص الشعير، وفي هذا كفاية لمن فهم ووقف على تخرصهم وافترائهم وباطل دعواهم.

ومثل روايتهم أن عثمان حمل إلى رسول الله (ص) دنانير كثيرة فجعل رسول الله (ص) يقلبها بيده ويقول ما على ابن عثمان ما أتى بعدها وهذا لا يخلو الحال فيه من أن يكون رسول الله (ص) قال ما على ابن عثمان ما أتى بعدها يريد بذلك ما عليه من افعال الخير فهذا لكل إنسان وكل ما أتى بشئ من أفعال الخير فذلك له لا عليه، وهذا قول لا فائدة فيه وإن قالوا أنه أراد الأفعال السيئة فقد أوجبوا أن رسول الله (ص) قد أباح لعثمان ما حرمه الله للمسلمين في الشريعة وكفى بهذا لقائله خزيا، وإن قالوا أنه إنما قال ذلك لأنه علم أنه لا يأتي بشئ من الأفعال السيئة فما فائدة قوله (ما عليه ما أتى بعدها) وهو لا يأتي بشئ من ذلك، فسبحان الله ما أجهلهم وأقل تمييزهم ومعرفتهم وأكثر تخرصهم وافترائهم.

ومن تخرصهم وافترائهم على الله ورسوله (ص) روايتهم أن الرسول (ص) كان يوما جالسا في منزله مكشوف الفخذ وأصحابه يدخلون عليه

فلا يغطيها وممن دخل عليه بزعمهم أبو بكر وعمر فلم يغط فخذه فلما دخل عثمان غطاها فقيل له في ذلك فقال ألا استحي ممن تستحي منه الملائكة فما أقل تخوفهم من كذبهم وتخرصهم أوليس قد رووا أن الرسول (ص) قال الركبة عورة أو قال من العورة فكيف يجوز أن يقول ذلك ثم يدع فخذه مكشوفا بين أيدي الناس وهي فوق الركبة فنسبوا إلى الرسول (ص) أنه يبدي عورته للناس، وهذا من افعال الجهلاء والسفهاء دون أفعال الحكماء قبحهم الله وقبح ما يأتون به، ثم لو صح لهم ذلك لكان فيه هتكهم في إيجابهم تفضيل عثمان على أبي بكر وعمر لأنهما دخلا عليه ولم يستحي منهما واستحيى من عثمان فهو إذا أفضل منهما وأجل منزلة وأعظم، وكذلك دل بقوله أن الملائكة تستحي من عثمان ولا تستحي منهما على أنه أفضل منها وأجل وأرفع درجة ففي كثير مما يروونه في تخرصاتهم من الفضائح ما يرغب ذا الفهم عن مجالستهم ومجاورتهم فضلا عن الدخول في مذهبهم ومع ذلك فيقال لهم خبرونا عن الملائكة أي حال أوجبت عليهم أن يستحيوا من عثمان هل جنت الملائكة عليه جناية فهي تستحي مما ارتكبته منه أو هل أحسن عثمان على الملائكة أفضل عليهم بنعمة أو بدفع مضرة أو استجلاب منفعة وما شاكل هذا من وجوه الفضل والأنعام فأوجبت الملائكة على نفسها بذلك تعظيم عثمان والاستحياء منه إجلالا له لجميل فعله بهم لقد ضلوا ضلالا بعيدا.

ومثل هذا التخرص والافتراء ما رووا أن عمر سراج أهل الجنة في الجنة، ولم نجد الله عز وجل ذكر في شئ من كتابه أنه جعل لأهل الجنة سراجا إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) فجعل الله رسوله سراجا للمؤمنين في هدايتهم وإرشادهم وتعليمهم فإن كانوا أرادوا بقولهم في عمر أنه سراج أهل الجنة بمعنى أن يعلمهم

ويهديهم ويرشدهم قيل لهم أن أهل الجنة لا تكليف عليهم ولا جهل فيهم فلا حاجة لهم إلى تعليم ولا إلى إرشاد، ولو كانوا محتاجين إلى ذلك لكان أنبياؤهم ورسلهم أحق بذلك من عمر إلا أن يقولوا أن عمر في الجنة أعلم وأفضل من الأنبياء فيحق عليهم اللعنة من الله ورسوله والملائكة وجميع عباده، ولعمري أن هذا الخبر يوجب عليهم هذا القول ويلزمهم أن يقولوا إن عمر أفضل من جميع الخلق والأنبياء والرسل والملائكة إذ كان الله جعل رسوله سراجا لأهل الدنيا وجعل عمر سراجا لأهل الجنة وسراج أهل الجنة أجل وأفضل وأرفع وأعظم منزلة من سراج أهل الدنيا ولم يبق بعد الهداية والارشاد في معنى السراج إلا الضياء من المصباح من النار والشمس والقمر والنجوم وما شاكل ذلك مما يستضاء به في الظلمة أو نضارة الوجه وحسنه فيبتهج به من يراه، ولا وجه آخر نعرف في معنى السراج غير هذه الوجوه، فإن زعموا أنه أراد بذلك ضياء أهل الجنة فما في الجنة ظلمة فيحتاجون إلى ضياء سراج فيها يستضيئون به، وهذا قول جاهل غافل غوي، وإن قالوا أراد بذلك حسن الوجه ونضارته قيل لهم وجه عمر أحسن في الجنة وأنضر من وجوه الأنبياء والمرسلين، فإن قالوا أن وجه عمر أحسن كفروا، وإن قالوا وجوه الأنبياء والمرسلين أحسن قيل لهم قد استغنوا بحسن وجوه أنبيائهم ورسلهم عن وجه عمر ما يدل على أنه كان أقبح الناس وجها وأشنعهم منظرا، هذا مع ما يلزمهم في هذا الخبر من تفضل عمر على أبي بكر إذ كان عمر سراجا لأبي بكر في الجنة بزعمهم أنه سراج أهل الجنة وأبو بكر عندهم من أهل الجنة، ويلزمهم أيضا أن يجعلوه أفضل من الأنبياء والمرسلين إذا كانوا من أهل الجنة وعمر وسراجهم ومن توهم هذا أو ظنه فقد حق عليه غضب الله وسخطه واستحق أليم عذابه وشديد عقابه.

وأما ما زعموا من قولهم أن أفضل الناس من بعد رسول الله (ص) أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ومنهم من يقول ثم عمر ثم عثمان ثم علي فزعموا أن أبا بكر أفضل من عمر وعمر أفضل من عثمان أفضل من علي، ثم بعضهم ساوى بين علي وعثمان، ثم يشهدون للعشرة بالجنة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن ابن عوف الزهري وأبو عبيدة بن الجراح (١) فيقال لهم إن الله جل اسمه قد أخبر أن الجنة لأهل الطاعة وأهل الطاعة هم الطائعون لرسوله العاملون بأمره المتبعون لسنته بقوله تعالى (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) وقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وإذا كان ذلك كذلك ثم وجدنا قوما قد خرجوا في كثير من أفعالهم عن سنن رسول الله (ص) وقصدوا مخالفته وعصوا أمره وابتدعوا في دينه ما لم يأذن الله به ولا رسوله مع قول الرسول (ص) كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. فقد صح عندنا بطلان شهادتهم له بالجنة وإيجابهم لهم التزكية وقد وجدنا تسعة من هؤلاء العشرة الذين يزعمون أنهم من أهل

---

(١) وقد ألف علماؤهم الدين يتولونهم مؤلفات عديدة في مناقب العشرة فهذا العلامة الحافظ محب الدين أبو جعفر أحمد بن عبد الله الطبري شيخ الحرم المكي المولود بمكة في جمادى الآخرة سنة ٦١٥ والمتوفى جمادى الآخرة سنة ٦٩٤ الذي قال فيه الذهبي الفقيه: الزاهد المحدث كان شيخ الشافعية ومحدث الحجاز. قد ألف كتابا ضخما في فضائلهم في مجلدين سماه " الرياض النضرة في مناقب العشرة " وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٧ أور فيه ما دب ودرج وكال لأوليائه من الفضائل والمناقب كيلا جزافا وفيه الكثير من المخازي والمخرفات ما يضحك الثكلى فارجع إليه إن شئت فسترى العجائب والغرائب من هذا العلامة الحافظ. " الكاتب "

الجنة قد أحدث كل واحد منهم ما يخالف شريعة الله وأحكام دينه من فرائضه وسنن رسوله، وذلك مثل ما شرحناه من بدع الثلاثة وما قد ارتكبوه من المسلمين وأحدثوه من الفساد في الدين فطرقوا به سبل الضلالة ومناهج الجور لكل من اقتفى آثارهم من بعدهم وسلك سبيلهم، وأما الستة الباقون من التسعة فمنهم طلحة والزبير اللذان ارتكبا من رسول الله (ص) في هتك حريمه ما لا يرتكبه منه كافر ولا مشرك بقصدهما إخراج حرمته يسيران بها بين العساكر في البراري والفلوات غير مبالين في ذلك ولا متحرجين مع ما قد أجمع أهل الخبر عليه من الرواية أن رسول الله (ص) قد أعلم طلحة والزبير وأعلم عائشة زوجته أنهم سيقاتلون عليا صلوات الله عليه ظالمين له فلم يردهم ذلك من قول رسول الله (ص) عن محاربتهم عليا عليه السلام إلا ظلما واعتداء وعن سفك ما سفك منهم من الدماء وتلك الدماء كلها في عنقيهما وعنق عائشة جميعا، وقد زعم الجهال منهم أن الزبير قتل تائبا قتله عمر بن جرموز اغتيالا في رجوعه إلى مكة تائبا فقال لهم أهل الدين والتمييز أن ذلك من الزبير لم تكن توبة له لأنه أورد الذين جلبهم للحرب مورد الحرب (١) وقذف بهم مناهج الضلالة وحرضهم على محاربة صاحب الحق ودعاهم إلى ذلك فكانت تربته أن يقوم في القوم مناديا بظلمه واعتدائه ويعلم من كان معه على رأيه هذا بالظلم ليرجعوا برجوعه ثم يصير بعد ذلك إلى إمامه علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام فيضع يده بيده وينصرف بين أمره ونهيه فلما لم يفعل ذلك كان ممن حقت عليهم كلمة الرسول (ص) حين قال (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) وكان الزبير في أول أمره محاربا له ومعاديا

---

(١) الحرب هنا بفتح الراء المهملة بمعنى الهلاك، ولعمري أي هلاك أوردهم للزبير مورده فكم نفوس هلكت ودماء أريقت في حرب البصرة وفتنة الجمل " الكاتب "

وفي آخره خاذلا فقد حقت عليه الدعوة بالعداوة والخذلان جميعا من الله ورسوله ومن حقت عليه دعوة الرسول (ص) بذلك فالنار أولى به من الجنة
وأما طلحة بن عبيد الله فإنه قتل في معركة الحرب قتله مروان ابن الحكم وزعم أنه بقتله طلب دم عثمان فإن طلحة كان ممن حضر في دار عثمان، فقتلا جميعا طلحة والزبير محاربين خاذلين مع ما قد سمعناه من دعوة الرسول (ص) بالعداوة من الله والخذلان لفاعل ذلك، وليس يخلو حالهما في ذلك أن يكونا استهانا بدعوة الرسول " ص " وعداوة الله أو أن يكونا قد رأى أن دعوة الرسول (ص) غير مجابة، ولا وجه ثالث لهما يوجب تأويله في دعوة الرسول (ص) بذلك ومن قصد الوجهين أو واحدا منهما فقد خرج من دين الله وشريعة الاسلام. هذا مع ما يلزمهما من عقوبة ما قصدا له من الأذى الذي أدخلاه على رسول الله (ص) بإخراجهما زوجته من بيتها ومن سترها وما ضربه الرسول (ص) من الحجاب لأنه من المحال أن يخرجا زوجته من بيتها ومن سترها إلى مواطن الحرب وتصفح وجوه الرجال في مواقف الصفوف والعساكر إلا وهما قد ادخلا على رسول الله (ص) الأذى العظيم بذلك والله يقول " إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا " هذا وقد سمعنا الله يأمر نساء النبي " ص " بالاستقرار في بيوتهن بقوله " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى " فاستخفا جميعا بأمر الله في ذلك وحملاها على مخالفة الرسول – ص – فيما أمرت به ونهيت عنه وكان الواجب عليهما فيما يلزمهما من طاعة الله وحق رسوله أن لو أرادت عائشة الخروج معهما واستدعت ذلك منهما أن يمنعاها من ذلك ويلزماها بيتها صيانة لحرمة رسول الله – ص – وينهياها عن مخالفة

كتاب الله ولكنهما صانا حرمهما في منزلهما وأخرجا حرمة رسول الله (ص) وعصيانا في ذلك كله لله ولرسوله (ص) وكانت هي مشاركة لهما فيما استحقاه على ذلك من أليم العقوبة إذ أطاعتهما في معصية الله وهتك سترها الذي أسبله الله عليها ورسوله (ص) فلينظر الناظر بحق في هذا الذي شرحناه وبيناه هل هو من فعل من يجوز أن يشهد له الرسول (ص) بالجنة كلا بلا شهادته لهو بالنار أقرب من شهادته لهم بالجنة عند ذوي الفهم.

وأما سعد بن أبي وقاص فرجل يروي عنه الخاص والعام أنه قال سمعت رسول الله (ص) يقول في علي " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله " وأنه قال سمعت رسول الله (ص) يقول " علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار لن يفترقا حتى يردا علي الحوض " وهذا وجد عنه في رواية جميع أصحاب الحديث حتى قد أودعوه كتابا لهم يعرف بكتاب السنة، ثم رووا عنه بعد هذا كله أن عليا عليه السلام دعاه إلى نصرته والخروج معه في حروبه فامتنع عليا وقال له إن أعطيتني سيفا يعرف المؤمن من الكافر فيقتل الكافر وينبو عن المؤمن خرجت معك، وقد جعل أصحاب الحديث من الحشوية هذا من مناقبه في ورعه بزعمهم، وهذا قول من لا يؤمن بالله ولا برسوله لأنه لم يعرف المؤمن بالله ولا برسوله بزعمه فقد شهد أنه قد سمع رسول الله (ص) يقول في علي عليه السلام ما قد رواه وليس يخلو حال سعد في خذلانه لعلي عليه السلام بقعوده عنه أن يكون استحق بهذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللعنة ولم يتخوف من مخالفته أو أن يكون ظن في نفسه أن دعوة الرسول (ص) غير مستجابة في ذلك ولا موجبة، ومن ظن هذا وقصد الوجه الأول فقد خرج من كل دين الله جل اسمه، ولا وجه آخر يتأول في هذا المعنى بعد هذين الوجهين وكذلك أيضا حاله فيما شهد به من قوله أنه سمع رسول الله (ص)

يقول " علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار " لا يخلو في ذلك من أن يكون كذب على الرسول (ص) وقد قال رسول الله – ص – من كذب علي عامدا متعمدا فليتبؤ مقعده من النار، أو يكون الراوون عن سعد هذا الخبر كذبوا على سعد فإن أقروا بالكذب على سعد لزمهم أيضا تكذيبهم فيما رووا عن الرسول – ص – من الشهادة للعشرة بالجنة وفي غيره من جميع رواياتهم حتى لا يصححوا عن سلفهم شيئا من الرواية، وكفى بهذا خزيا عند من فهم أو أن يكون سعد لم يصدق رسول الله – ص – فيما قاله من ذلك ومن لم يصدق رسول الله – ص – في إخباره كفره بغير خلاف أو أن يكون سعد سمع بذلك وتيقنه أنه كما قال الرسول – ص – فتهاون بالحق وعانده ومن تهاون بالحق وعانده فقد كفره الحق ومن كره الحق كان ممن قال الله فيه – ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم – لأن جميع ما أنزل الله في كتابه وبعث به رسوله فهو الحق لقوله – هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق – وقوله – وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وقوله – إنا أرسلناه بالحق بشيرا ونذيرا – ومن كان هذه صفته كان إلى صفات الكفر أقرب منه إلى صفات الإيمان وكانت الشهادة له بالنار أحرى من الشهادة له بالجنة.

وأما سعيد فإنه مات ولم تكن العداوة منه قد ظهرت لأمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيت الرسول عليهم السلام بعناد ظاهر إلا أنه قد روي عن طريق أهل البيت عليهم السلام أنه كان من أصحاب العقبة الذين جلسوا لرسول الله – ص – لينفروا به ناقته في عقبة هو شئ فإن كان ما رووا من من ذلك حقا فكفى به خزيا ومقتا وإن كان باطلا فسبيله كسبيل غيره من المسلمين إن كان قد عمل خيرا فخير وإن كان عمل شرا فجزاؤه جهنم

وأما عبد الرحمن بن عوف الزهري فرجل قد أجمع الخاص والعام أنه كان أحد الستة الذين جعل عمر الشورى بينهم وفي وقت وفاته قال للخمسة

إني أهب لكم نصيبي ونصيب ابن عمي سعد بن أبي وقاص على أن أكون المختار للإمام منكم ففعلوا ذلك فاستعرض الأربعة الباقين وهم علي وعثمان وطلحة والزبير فاختار من الأربعة عليا وعثمان فلما أراد أن يختار واحدا من الاثنين قال لعلي عليه السلام إن اخترتك لهذا الأمر تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر فقال علي عليه السلام بل أسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله (ص) فتركه وصار إلى عثمان فقال إن اخترتك تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر فقال نعم فاختاره وبايع له، فانظروا إلى هذا الحال وما طالب به عبد الرحمن بن عوف وما كان جواب علي عليه السلام في ذلك فإن كانت سيرة أبي بكر وعمر على كتاب الله وسنة نبيه فما معنى ذهابه إلى سيرة أبي بكر وعمر، وإن كانت سيرة أبي بكر وعمر بخلاف كتاب الله وسنة رسوله (ص) فكفى بذلك خزيا لمن طلبه، ولعمري لقد كانت كذلك بما قدمنا ذكره من بدعهما، ثم رووا عنه بعد هذا كله أنه جرى بينه وبين عثمان جدال من مدة من بيعته فقال له عثمان يا منافق فقال له عبد الرحمن ما ظننت أني أعيش إلى زمان تقول لي فيه يا عثمان يا منافق ثم حلف أنه لا يكلمه ما عاش فبقي مهاجرا له طول حياته حتى مات (١) هذا مع ما رووا جميعا أن الرسول (ص) قال لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه المؤمن أكثر من ثلاثة أيام فإن كان عثمان مؤمنا فقد خالف عبد الرحمن قول رسول الله (ص) في مهاجرته لعثمان سنين حتى مات على ذلك من غير توبة منه ومن قصد مخالفة الرسول (ص) عامدا متعمدا فقد تهاون بقول الرسول (ص) واستخف بحقه ومن جرى على ذلك كانت النار مأواه، مع ما يلزمهم من قول عثمان لعبد الرحمن يا منافق لأنه

---

(١) ومن الغريب ما ذكره المحب الطبري في الرياض النضرة في ترجمة عبد الرحمن أنه مات وصلى عليه عثمان وكان أوصى بذلك، ليت شعري كيف يوصي أن يصلي عليه عثمان وهو عدوه الألد، وابن حجر في الإصابة يروي صلاة الزبير بن العوام عليه الكاتب

لا يخلو الحال في ذلك من أن يكون عثمان صادقا فيما قاله لعبد الرحمن أو يكون كاذبا فإن قالوا كاذبا فقد قال الله في كتابه (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) وكفى بهذا خزيا ومقتا، وإن قالوا كان صادقا فعبد الرحمن كان منافقا بشهادة عثمان عليه وتصديقهم لعثمان بشهادته بذلك والله يقول (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وكفى بهذا خزيا.

وأما أبو عبيدة الجراح فالرواية عن أهل البيت عليهم السلام أنه كان أمين القوم الذين تحالفوا في الكعبة الشريفة أنه إن مات محمد أو قتل لا يصيروا هذا الأمر إلى أهل بيته من بعده وكتبوا بينهم صحيفة بذلك ثم جعلوا أبا عبيدة بينهم أمينا على تلك الصحيفة، وهي الصحيفة التي روت العامة أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل على عمر وهو مسجى فقال ما أبالي أن ألقى بصحيفة هذا المسجى (١) وكان عمر كاتب الصحيفة، فلما أودعوه الصحيفة خرجوا من الكعبة الشريفة ودخلوا المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه جالسا فنظر إلى أبي عبيدة فقال هذا أمين هذه الأمة على باطلها يعني أمين النفر الذين كتبوا الصحيفة فروت العامة ما يدل على هذا المعنى أن رسول الله (ص) قال أبو عبيدة أمين هذه الأمة فقيل لهم إن الأمين لا يخلو من أحد الوجهين إما أن يكون أمينا لقوم على وديعة أو معاملة أو توسط أو مشاكل ذلك، وما أن يكون أمينا عليهم وليس في القوم ثقة وأمين غيره أو يكون فيهم أمين غيره، فإن قلتم أن الصحابة ليس فيهم

---

(١) الذي رواه المحب الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ٧٧ مرسلا عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام بلفظ، قال لما غسل عمر وكفن وحمل على سريره وقف عليه علي عليه السلام فقال والله ما على الأرض رجل أحب إلي أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجى بالثوب (ثم قال) خرجه في الصفوة وابن السمان في الموافقة وعد صاحب الرياض النضرة وغيره من أوليائه.
" الكاتب "

أمين غير أبي عبيدة فكفى بهذا القول خزيا لقائله، إن قالوا كان أمينهم على كل شئ كان لهم عنده قلنا لهم عرفونا ذلك أي شئ فكانوا في ذلك صما بكما عميا فقيل لهم قلة معرفتكم بذلك ووجود جهلكم به دليل على صحة خبر أهل البيت عليهم السلام، وهذا الحال من جهلكم يوجب التهمة لأبي عبيدة ومن كان بهذه الصفة كان بعيدا من الشهادة له بالجنة فهل ترون فيما شرحناه من أحوال هذه للتسعة حالا يوجب لهم ما ادعاه أهل الغفلة وما تخرصوا فيهم أهل الضلالة كلا إن الله لا يصلح عمل المفسدين.

وأما ما رووا من تخرصهم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال بزعمهم أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم من أعمال الشر أو قال اعملوا ما شئتم من أعمال الخير والبر فإن قالوا أراد أعمال الخير والبر قيل لهم هذا غير مستنكر أن يكون الله قد غفر لهم ما كان منهم من كراهية الجهاد في هذه المواطن كما أخبر عنهم في قوله " كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون " إلى آخر القصة فهذه أحوال كلها مذمومة من أهل بدر فجائز أن يكون الله قد غفر لهم من بعد بأفعال جميلة ظهرت منهم ثم قال له رسول الله (ص) استأنفوا عمل الخير بالطاعة وحسن العمل والتسليم، وإن كان هذا فيهم كذلك فليس هذا حالا يوجب لأهل بدر كلهم النجاة بل يوجب لمن استأنف منهم أعمال الخير بالسارعة إلى الطاعة والانقياد بالرضا والتسليم إلى ما قد وعدهم الله من المغفرة والعفو عن الدين وصفهم فيه بالأعمال المذمومة ومن قصر في ذلك وجرى إلى خلاف ما يرتضيه الله منه حمله من بعد معانيه مما يلزم غيره من المسلمين وإن قالوا أنه أراد بقوله اعملوا ما شئتم من الأعمال السيئة كان قائل هذا جاهلا متخرصا لأن هذا يوجب إباحة المحارم لأهل بدر والتحليل لهم ما حرمه الله على غيرهم في الشريعة من الزنى والربا وشرب الخمر وقتل النفس التي

حرم الله قتلها وما شانه ذلك من المحرمات من أكل الميتة والدم ولحم الخنزير إلى غير ذلك من المحرمات في الدين لأن في خبرهم أنه قال لهم اعملوا ما شئتم من الأعمال السيئة دليلا على أنه قد جعل الاختيار إليهم في ذلك إن شاؤوا قللوا وإن شاؤوا كثروا، وكفى بهذا المذهب لمن اعتقده وجادل عليه خزيا وفضيحة ومقتا، وإن قالوا أن الله قد علم أنهم لا يأتون بشئ من ذلك، قيل لهم إن كان هذا كما وصفتم فقوله اعملوا ما شئتم وهم لا يعملون لا معنى له ولا فائدة فيه، وليس هذا من قول الحكيم ولا فهم عليم، وإن قالوا إنما أراد بذلك إظهار جلالة منزلتهم للناس وتبيين فضيلتهم بتحليل المحارم والإباحة للمحظورات فيجعل للجاهل سبيلا إلى الدخول في ذلك أو في شئ منه، قيل لهم هذا ما لا يستقيم عند ذوي عقل ولا فهم، مع ما يقال لهما كيف يصح ما يقولون أن الرسول (ص) قد علم أنهم لا يأتون بما يذم منهم وقد رووا أن الرسول (ص) قال للزبير إنك تقاتل عليا وأنت ظالم له، فلو كان قد أباح لهم ما زعمتم لكان قوله (ص) للزبير تقاتل عليا وأنت ظالم له ظلما من الرسول (ص) واعتداء على الزبير إذ كان الله بزعمهم علم أنهم لا يأتون بما يذم منهم، وقد رووا أن الرسول (ص) قد أباح لهم ما شاؤوا من الخير والشر ومن أباح الله له ذلك فليس هو بظالم في كل ما فعل ومن قال إنه ظالم فهو الظالم على إيجابكم هذا الفظيع من المقال الظاهر من هذا المحال، ومن زعم أن الرسول (ص) ظالم في باب من الأبواب كفر بغير خلاف وقد وجدنا الزبير قد أقر من كتاب الله على نفسه وعلى من كان معه بروايتكم ذلك عنه بما يضاهي قول الرسول (ص) له ستقاتل عليا وأنت ظالم له فقد رويتم عنه بأجمعكم أنه قال يوم الجمل بالبصرة ما زلنا نقرأ هذه الآية وما ندري ما أراد بها حتى علمنا الآن أنا المقصود بها وهي قول الله عز وجل (واتقوا فتنة لا تصبين الذين ظلموا منكم خاصة) وقد كان طلحة والزبير من البدريين عظيمي

المنزلة عندكم وقد تقلدا من سفك الدماء بينهما وبين أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله في يوم حرب الجمل مع عائشة ما لا تقوم به الجبال ولا تنهض به السماوات والأرضون إذ كانا السبب في سفك تلك الدماء بينها. وبين أمير المؤمنين عليه السلام مع شهادة الرسول (ص) عليهم بالظلم في تلك الحالة ومن شهد عليه الرسول (ص) بالظلم كان محالا أن يكون ممن أباح الله له ما وصفه أهل الغفلة لأهل بدر، وفي هذا كفاية لمن فهم من الدلالة على تخرصهم وافترائهم على الله وعلى رسوله غير الحق.

وأما ما زعموا من تأويل قول الله تعالى " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار " وزعموا أن أبا بكر وعمر كانا من المهاجرين فقد قالوا هذا زورا وتخرصوا أفكا فإن المهاجرين الأولين هم الذين هاجروا الهجرة الأولى وهي الهجرة إلى الرسول (ص) في حصاره بمكة حين حاصر قريش بني هاشم مع رسول الله (ص) في شعب عبد المطلب أربع سنين والأمة مجمعة أن أبا بكر وعمر لم يكونا معهم في المواطن فكيف يدعون لهما أنهما من المهاجرين الأولين، وأما الأولون فهم السبعون الذين جاؤوا إلى مكة فبايعوا رسول الله (ص) في منزل عبد المطلب ليلا في عقبة مكة وهم العقبيون المعروفون بإجماع أهل الأثر، وأما شهادة الله لهم بالرضا ولمن اتبعهم بإحسان وما وعدهم الله من الخلود في الجنة فقد يمكن أن يكون ذلك منه خصوصا من قول عز وجل وإن كان مخرج الكلام العموم فهذا في كتاب الله موجود من خطاب الخصوص وهو عموم ومن خطاب العموم وهو خصوص لمن استقام منهم دون من لم يستقم والنظر به يدلنا على أن الله عز وجل إنما رضي عمن استقام في طاعته وإن الجنة أعدها لمن سارع إلى مرضاته وتجنب معاصيه ومن خرج من هذا الحال كان محالا أن يستحق الرضا من الله فما لهم في هذا الحال حجة والحمد لله.

ومثل هذا قوله (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة)

وذلك أن هذا الرضا أيضا إن كان عن شئ تقدم منهم فرضي عنهم في ذلك حين تابوا منه ورجعوا عنه فهذا بإجماع قول الناس نزل في عام الحديبية حين وقعت الهدنة بين رسول الله (ص) وبين قريش فأنكر ذلك جماعة من الصحابة وكان يومئذ معه ألف وسبعمائة رجل فخالفوا رسول الله (ص) في أمره حين أعطى قريش ما التمسوه من الهدنة فقالوا لرسول (ص) لا نرضى بهذا الصلح ولا نعطي الدية في ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فأخذ رسول الله (ص) عند ذلك بيد علي عليه السلام فجلسا تحت الشجرة ونزل القوم الذين خالفوه فأخذ المسلمون السلاح فحملوا على قريش حملة رجل واحد فحملت عليهم قريش فانهزموا من بين أيديهم يقع بعضهم على بعض في الهزيمة وتبعتهم قريش فأمر رسول الله (ص) عند ذلك عليا عليه السلام أن يلقي قريش فيردها فقام علي عليه السلام في وجوه قريش فصاح بهم فارتعدوا وقالوا جاء علي بأمر، ثم قالوا يا علي هل بدا لابن عمك فيما أعطانا من الهدنة فقال لا فهل بدا لكم أنتم قالوا لا قال فانصرفوا فرجعت قريش وسار وفد منهم إلى رسول الله (ص) فكتبوا كتاب الهدنة والصلح بشرطها وندم أصحاب الرسول (ص) على ما كان منهم من الخلاف على رسول الله (ص) فاعتذروا إليه فأقبل الرسول " ص " يوبخهم بذكر المواطن التي هربوا فيها وأسلموا الرسول (ص) في معارك الحرب فقال ألستم الذين أنزل الله فيكم يوم بدر كذا ثم الذين كان منكم كذا وكذا حتى عدد عليهم المواطن التي كان منهم فيها الفشل والفضيحة والهزيمة فاعتذروا عند ذلك وأظهروا التوبة والاعتراف بالذنب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا تعودوا إلا البيعة فقد نقضتم ما كان لي في أعناقكم بخلافكم علي فبايعوه عند ذلك تحت الشجرة وبايعهم بيعة الرضوان عنهم من ذلك الخلاف وتلك الخطيئة في ذلك الموطن من الحديبية وكان هذا رضوانا من شئ معلوم بعد سخط وقع عليهم فيه فأنزل الله عند ذلك يعرفهم أنه قد

رضي عنهم من ذلك الخلاف فقال تعالى (لقد رضي الله من المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) ثم قال ما دلنا به على أن فيهم من ثبت وفيهم من نكث فقال (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) فدلنا هذا القول من الله على ما وصفناه من نكث بعضهم ووفاء آخرين منهم وذلك أن الله لو علم أنهم لم ينكثوا جميعا ولا واحد منهم لما كان يقول سبحانه وتعالى (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) إذ كان لا فائدة فيه والله أحكم من أن يقول قولا لا فائدة فيه فلما قال ذلك علم أن منهم من نكث في وقته ومنهم من وفى به، ولعمري أن من وفى منهم بشروط تلك البيعة فإن الرضا له واقع ومن نكث منهم فعليه السخط وقد وجدنا من أبي بكر وعمر خاصة النكث ومن جماعة كثيرة من الرؤساء الذين بايعوا تحت الشجرة على أن لا يفروا ولا ينهزموا بل يثبتوا للموت في الحرب حتى يقتلوا أو يغلبوا كما رووا جميعا عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال بايعنا رسول الله (ص) على الموت ثم وجدناهم بعد ذلك وفي عقب تلك السنة قصدوا بلاد خيبر فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الراية إلى أبي بكر فانصرف بها منهزما فدفعها إلى عمر فانصرف بها منهزما وكان أول النكث منهما من بعد بيعة الرضوان ثم تكامل النكث من أكثرهم يوم خيبر بعد فتح مكة فانصرفوا كلهم وكانوا تحت الراية يومئذ اثنى عشر ألفا فلم يثبت منهم إلا ثمانون رجلا مع رسول الله " ص " تحت الراية، وإذا كانت بيعتهم تحت الشجرة المسماة ببيعة الرضوان أن لا يفروا ولا ينهزموا ثم فروا وانهزموا أفليس قد نكثوا بيعة الرضوان وخرجوا من الرضوان فدل أمرهم في ذلك على أنهم بخلاف ما يدعيه أهل الغفلة فيهم.

وأما تأويلهم في قول الله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به) وأنهم يزعمون أنه أبو بكر فهذا من تخرصهم وزورهم وبهتانهم لأن أبا بكر أسلم

من بعد قوم أسلموا منهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وجعفر أخوه وخديجة بنت خويلد وزيد بن حارثة فلو كان هذا نزل في أول من صدق برسول الله (ص) لكان أول مصدق به قبل أبي بكر أحق بهذا الاسم ولكنا نقول إن هذا مقصود به كل مصدق به تقدم أو تأخر وليس لأحد في هذا خاصة فضيلة دون غيره من المصدقين برسول الله (ص) فيما جاء به من عند الله جل اسمه وإنما أخبر الله سبحانه أن الرسول (ص) قد جاءهم بالصدق ثم قال فمن صدق به فهم المتقون، ألا تسمع قوله الموافق قولنا حيث يقول (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) وهذا حال يوجبه النظر لمن تقدم وتأخر من جميع المصدقين فإن كان أبو بكر ممن صدق فهو واحد من الصديقين.

وأما دعواهم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سماه صديقا فما وجدنا في شئ من الأخبار أن أبا بكر ادعاه لنفسه وإنما هو شئ تخرصه أولياؤه ممن أراد تزيين أمره من بعده وتعظيمه في قلوب العامة (١) فلو كان هذا كما وصفوا لكان أبو بكر ادعاه لنفسه وقاله في المواطن التي كان يؤدي فيها

---

(١) قال شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله في تلخيص الشافي ص ٤٣٤ أما ادعاؤهم أنه عليه السلام كان يسميه صديقا فدون صحته خرط القتاد وليس يقدر أحد على أن يروي عنه عليه السلام في ذلك خبرا معروفا وإنما معولهم على الشهرة والظهور وليس في ذلك دلالة على الصحة لأنه قد يتقرب إلى ولاة الأمر وملاك الحل والعقد في الألقاب والسمات والصفات وغير ذلك ما يبلغ من الشهرة أقصاها وينتهي إلى أن يغلب على الأسماء والكنى ولا يقع التعريف إلا به ومع ذلك فلا يكون صادرا عن حجة ولا منبئا عن صحة ولو قيل لمدعي ذلك أشر إلى الحال التي لقبه فيها النبي عليه السلام بالصديق والمقام الذي قام بذلك لعجز عن إيراد شئ مقنع " الكاتب "

كما رووا جميعا أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في مواطن
على المنبر وغيره أنا الصديق الأكبر فلم ينكر ذلك منه أحد بل أذعن له كل
من سمعه وصدقه في ذلك، ولسنا نعرف في هذا الاسم لأحد ادعاه لنفسه
غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.
وأما ما ادعوه تخرصا وافتراء من قول الله عز وجل (فأما من أعطى
واتقى وصدق بالحسنى) إلى قوله (وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى)
فزعموا أن هذا نزل في أبي بكر، فسبحان الله ما أجهلهم وأقل تخوفهم (١)
أليس قد روى علماؤهم وأصحاب حديثهم مع موافقة أهل البيت عليهم السلام
على ذلك أن هذا نزل في رجل من الأنصار كان له نخلة في حائط دار رجل
آخر من الأنصار فكان صاحب الحائط يتأذى بتلك النخلة
وصبيانه يترددون إلى النخلة فتأذى صاحب الدار وشكا ذلك إلى رسول
الله (ص) فدعا رسول الله (ص) صاحب النخلة فقال له تجعل هذه النخلة
لأخيك هذا يعني صاحب الدار وأضمن لك نخلة في الجنة فقال يا رسول الله
أنا محتاج إلى نخلتي في العاجل فلم يفعل فسمع ذلك رجل آخر من الأنصار
فأقبل إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله أتضمن لي هذه النخلة في الجنة
حتى أشتري هذه النخلة وأجعلها لصاحب الدار قال نعم فقال لصاحب النخلة
إنها لرجل نعرف حائط نخلي في موضع كذا في المدينة قال نعم – يعني بستانا

---

(١) قال شيخ الطائفة الشيخ الطوسي رحمه الله في تلخيص الشافي ص ٤٢٨ أما قوله (فأما من أعطى واتقى) فإنها عامة في كل من أعطى وصدق فحملها على التخصص بلا دليل اقتراح لأن قائله لا يجد فرقا بينه وبين من خصها بغير من ذكروه، على أنهم رووا عن عبد الله بن عباس وأنس ابن مالك وغيرهما أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري هو الذي صدق بالحسنى وسمرة بن جندب هو الذي بخل واستغنى، وإذا تكافأت الروايتان سقطتا وبقيت الآية على عمومها.

كان له قال – فكيف هو قال لم أجد في المدينة مثله قال هو لك بهذه النخلة واجعلها لي قال قد فعلت فدفع إليه البستان وأخذ منه تلك النخلة فجعلها لصاحب الدار فقطعها من حائطه وضمن له رسول الله (ص) نخلة في الجنة فأنزل الله تعالى فيهما فقال في صاحب البستان (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) يعني بالحسنى الجنة حين ضمن له رسول الله (ص) النخلة فيها، وشاهد ذلك أن الحسنى هي الجنة ما رووه جميعا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في تفسير قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى الله سبحانه قال الله (فسنيسره لليسرى) ثم قال في صاحب النخلة التي بخل بها ولم يصدق بضمان رسول الله (ص) النخلة في الجنة (وأما من بخل واستغنى) يعني بخل بالنخلة واستغنى عند نفسه بالبستان الذي أخذه عوض نخلته (وكذب بالحسنى) يعني كذب بالجنة حتى لم يثق بكلام رسول الله (ص) (فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله إذا تردى إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى) ثم قصد جماعة المسلمين بذلك فأنذرهم فقال " فأنذركم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى " ترغيبا في فعل الخير، أفلا ترى أن التفسير في هذا كله بخلاف ما يدعيه ويتخرصه أهل الجهل (١)

وأما ما رووا عن عمر من قوله حين أسلم، لا يعبد الله سرا بعد هذا اليوم، لعمري لقد كان ذلك منه غير مدفوع، ولكن لو علموا ما عليهم وعلى صاحبهم فيه ما أقروا به ولجحدوه ولكن الله قد أعمى قلوبهم وختم على سمعهم وعلى أبصارهم فهم كما قال الله عز وجل (أم تحسب أن أكثرهم

---

(١) أورد هذا التفسير للآية الواحدي في أسباب النزول ص ٣٣٤ بسنده إلى الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ومثله السيوطي في أسباب النزول وقال أخرجه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس.

يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) وذلك أن أهل الفهم والمعرفة قد علموا أن عمر لم يكن أشجع قلبا من رسول الله – ص – ولا أعز عشيرة فبأي حال يعهد في عمر أنه منع من عبادة الله سرا حين أسلم لشجاعته أم لعظمة قدره وعز عشيرته ولم يكن في قريش أخل من عشيرته ولا أقل عزا من أهل بيته ولا في نفسه من الرؤساء المطاعين في قريش والعرب، فلما بطل الوجهان اللذان فيهما يقدر ذلك ثبت الرواية في ذلك عن أهل البيت عليهم السلام، فنقول إن سل عمر سيفه يوم أسلخ وقوله لا يعبد الله سرا بعد اليوم كان ذلك خطأ منه في قول العلماء من أوليائه وكان ذلك كفرا منه في قول آخرين، أما بيان خطأه فإن الأمة مجمعة على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان ينهى أصحابه عن قتال قريش ويأمرهم بالصبر على الأذى طول مقامه بمكة فلما اشتد الأذى بأصحابه الذين أسلموا معه شكوا ذلك إليه مرة بعد أخرى وسألوه أن يطلق لهم دفع الأذى عن أنفسهم وإلا فلا صبر لهم على ذلك فلم يطلق لهم ذلك وولى عليهم جعفر بن أبي طالب – ع – وأمرهم بالخروج معه إلى بلاد الحبشة إلى النجاشي ليقيموا بها فلما أسلم عمر وسل سيفه على تلك الحالة منعه رسول الله صلى الله وآله وسلم وأعلمه أنه لم يؤمر بحرب وأمره بغمد سيفه والرضا بما هو عليه من الصبر على الأذى وهذا بإجماع أهل الرواية من نهيه لعمر من ذلك، فدل هذا على أنه كان منه خطأ في قول أوليائه ولم يكن حقا ولا لله فيه رضا إذ كان الرسول – ص – لا ينهى عن حق ولا يكره ما لله فيه رضا وكلما ينهى عنه الرسول – ص – ففعله خطأ وجهل وهو لله ولرسوله غير رضا بل كان ذلك دليلا على جهله وقلة فهمه، وأما قول أهل البيت عليهم السلام في ذلك فإنهم قالوا إن عمر كان معاضدا لأبي جهل في قصد رسول الله – ص – بالأذى الشديد وكان عمر يحرض على قتل رسول الله – ص – فلم تكن قريش تجد إلى ذلك سبيلا لاستعمال رسول الله – ص – الصبر إلى الأذى وكفه لأصحابه عن منابذتهم

(قالوا) فلما رأى عمر ذلك واطأ أبا جهل على أن يظهر الاسلام والدخول في دين رسول الله – ص – ثم يحملهم على المنابذة ولتجد قريش إلى قتله سبيلا عند وقوع المنابذة فصار عمر إلى رسول الله – ص – فأعلمه أنه قد رغب في دينه والدخول في الاسلام وأظهر ذلك ثم قال رسول الله – ص – ما بالنا نعبد الله سرا وقال للذين قد كانوا قد أسلموا مع رسول الله – ص – أخرجوا حتى نقاتل المشركين وسل سيفه وقال من تعرض لنا ضربناه بسيوفنا وقدر أن رسول الله – ص – يتبعه على ذلك فإذا رأت قريشا سيفا مسلولا وجدوا السبيل إلى سل السيوف فيكون ذلك سببا لقتل الرسل – ص – إذ كان على من سل سيفه فقد وجد عدوه إلى سل سيفه أيضا بحذائه سبيلا فلما فعل عمر ذلك قال له رسول الله – ص – إن كنت يا عمر جئت راغبا في الاسلام فارض بما رضي به إخوانك من المسلمين من الصبر على الأذى والكف عن المنابذة فإني لم أومر بشئ من هذا حتى يقدر الله سبحانه ما يشاء وإن كنت جئت طالبا غير الدين فلسنا من أصحابك، فلما لم يجد عمر الفرصة فيما قصد له صار متحيرا مداهنا يخاف أن لا يكون للرسول – ص – دولة فيهلك معه إن أظهر لقريش الرغبة في الدين ويخاف أيضا أن يكون للرسول دولة من بعد فلا يكون له من دولته نصيب فيبقى عند ذلك مداهنا للجميع

(قال) ومن الدليل على ذلك أن الرسول – ص – لما حوصر في شعب عبد المطلب مع بني هاشم لم يحاصر معه عمر ولا أبو بكر واصطلحا جميعا على المداهنة والانتظار، فسل سيفه في تلك الحالة من أعظم الكفر لأنه كان حيلة منه أراد أن ينقض بها على رسول الله – ص – تدبيره ويجعل ذلك سببا لقتل الرسول – ص – فانظروا إلى قوم يدعون ذلك فضيلة لصاحبهم وهو في قولهم خطأ وجهل وفي قول آخرين كفر وإلحاد وعتو وعناد فهل يكون في الجهل أبين من جهل هؤلاء القوم وأقل نظرا وتميزا يتخبطون في الظلمات ويتيهون في الضلالات لا يعرفون حقا ولا يقلعون عن باطل.

وأما روايتهم المنخرصة أن الله أوحى إلى الرسول (ص) أن قل لأبي بكر أني عنك راض فهل أنت عني راض، فهل يستجيز رواية مثل هذا إلا جاهل غبي غافل عمي، هل يجوز أن يسأل الله عبدا من عبيده نبيا كان أو غير نبي هل أنت عني راض إلا يعلم ذو الفهم أن هذا خارج عن الحكمة داخل في الجهالة، مع ما يقال لهم في أي حال راضي عنه أفي يوم أحد حين هرب عن رسول الله (ص) أو في يوم خيبر حين انهزم براية رسول الله (ص) أو في غزوات ذات السلاسل حين رجع عن الطريق خوفا من المشركين بعد ما ولاه رسول الله (ص) وأمره بالمسير برايته إليهم ثم ولى عليه وعلى من معه عمر ثم أنفذه بالراية فرجع عن الطريق كرجوع أبي بكر ثم ولى عليهما وعلى من كان معهما عمرو بن العاص فسار بهما فصلى بهما وبالجماعة التي كانت معهما حينا، وقد رووا أن عمرا كان يوليهما الحرس بالليل ثم رجع عمرو أيضا كرجوعهما من الطريق، أمر رضي عنه يوم حنين حين هرب مع الهاربين، أم في حال الرجل الذي بعث به الرسول (ص) ليقتله فوجده بزعمه يصلي فرجع ولم يقتله فزعم أنه رأى للصلاة حرمة فكره قتله كذلك فظن أنه قد عرف من الحق في ذلك ما لا يعرفه الرسول (ص) ومن ظن ذلك فقد كفر بالله ورسوله أو في ولاية الرسول (ص) لأسامة ابن زيد عليه حين أمره الرسول (ص) وعمر بالمسير معه وتحت رايته إلى الشام فتخلفا جميعا عنه بعد وفاة الرسول (ص) ولم ينفذ لأمر الله ولا لأمر الرسول (ص) وخالفاه عامدين متعمدين ثم طلبا البيعة لهما والولاية على المسلمين من غير عهد عهده الله ولا رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك أم في كبسه لبيت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله (ص) وهتك الستر عنها بخروجها خلف بعلها وقد جروه إلى مسجد رسول الله يطالبونه بالبيعة لهما وهو يمتنع عليهما مع تسليطه لقنفذ ابن عمه على ضربها وضغط عمر لها بين الباب والحائط حتى أسقطت ابنها محسنا أم في منعها ميراث أبيها وتركاته

أم في قتله القوم الذين منعوه الزكاة وسماهم أهل الردة وسبى ذراريهم واستباح أموالهم وأباح فروج نسائهم أو في جميع بدعه التي قدمنا ذكرها، أم في أمره لخالد بن الوليد بقتل أمير المؤمنين عليه السلام ثم ندم حتى قال في الصلاة من قبل أن يسلم لا يفعلن خالد ما أمرته به، فسبحان الله ما أضل هؤلاء وأجهلهم وأعظم افترائهم على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما روايتهم المنكرة الشنيعة عند ذوي الفهم أن الرسول ص بزعمهم قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم فما في المحال أظهر من المحال ولا أشهر منه ولا أبين تخرصا عند أهل النظر والتحصيل، وذلك أن هذا القول لا يخلو من أن يكون الرسول (ص) قاله لأصحابه دون غيرهم أو قاله لغير أصحابه، فإن قالوا أنه قاله لأصحابه وغيرهم أو قاله لأصحابه دون غيرهم قيل لهم فهل يستقيم في الكلام الفصيح المحكم أن قاله لأصحابه " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " أما يرون محال هذا الكلام ما أبينه، وإن قالوا أنه قال لغير أصحابه. قيل لهم هل معكم خبر بهذا معروف مجمع عليه فأوردوه أم هو شئ تتخرصونه بقولكم واستدلالكم فغير معقول ذلك منكم ولا مقبول لأن أصحابه هم الذين رأوه فلو كان قاله لغيرهم لكانوا قد ذكروا ذلك الخبر وكانوا يقولون قال لجميع من أسلم غير أصحابه " أصحابي كالنجوم "

ولما لم يكن في نقلكم شئ من هذا التخصيص بطل ادعاؤكم مع ما يقال لهم أرأيتم لو سلمنا لكم أن الرسول – ص – أراد بهذا غير الصحابة كزعمكم أليس قد وجدنا الصحابة قد تنازعوا بينهم حتى قتل بعضهم بعضا من ذلك وحارب بعضهم بعضا محاصرتهم لعثمان جميعا فما كان من الصحابة حتى قتل بعضهم بعضا فمن ذلك محاصرتهم لعثمان حتى قتل ولم يحاصروه إلا بنو المهاجرون والأنصار الذين هم أصحابه جميعا فما كان من الصحابة إذ ذاك إلا محاصر أو قاتل أو خاذل، أفيقولون إن من كان محاصرا أو مقاتلا أو كان متبعا للذين قتلوه من الصحابة أو كان متبعا للذين خذلوه من الصحابة

كلهم كانوا في ذلك مهتدين ومن اتبع عثمان في امتناعه عليهم مما التمسوه من خلع نفسه أو دفع مروان إليهم وغير ذلك كان أيضا مهتديا فإن منعوا إحدى الفرق من الاهتداء بأن ظلمهم وبطل خبرهم وظهرت فضيحتهم. وإن أجازوا إهداء الفرق كلها في ذلك كله شهد والقاتل عثمان بالهداية في قتله ولمحاصريه وخاذليه وناصريه كذلك، وكفى بذلك خزيا، وكذلك يقال لهم في محاربة طلحة والزبير مع عائشة ومن تابعهم واقتدى بهم في محاربة علي عليه السلام كانوا مهتدين وكذلك علي عليه السلام ومن تابعه واقتدى به في محاربتها مهتدين، ولو أن رجلا حارب مع طلحة والزبير إلى نصف النهار ثم عاد إلى الصف الآخر فحارب مع علي عليه السلام إلى آخر النهار كان بزعمهم في الحالين جميعا مهتديا فإن منعوا ذلك بأن ظلمهم وانكسرت حجتهم وبطل خبرهم وإن أجازوه ظهرت فضيحتهم بتكذيب رسول الله (ص) فيما رووه عنه بإجماع أنه قال للزبير ستقاتل عليا وأنت ظالم له وقال لعائشة كذلك فلو كان مهتديا في أفعاله كلها كان محالا في جميع تصرفه فقد كذبوا رسول الله (ص) ومن كذب رسول الله (ص) في شئ من أقاويله كان خارجا من دين الله، مع ما قد روي أن الرسول (ص) قال ليردن على الحوض يوم القيامة أقوام من أصحابي ثم ليختلجن (١) دوني

---

(١) ذكر هذا الحديث السيوطي في الجامع الصغير وشرحه المناوي في فيض الغدير ج ٥ ص ٣٥٣ بلفظ: ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا رأيتهم وعرفتهم اختلجوا دوني فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك " ثم قال " أخرجه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس وعن حذيفة ثم صححه السيوطي، قال المناوي في الشرح " أختلجوا " بالنباء للمفعول اي نزعوا أو جذبوا قهرا عليهم " دوني " أي بالقرب مني فيقال لي أي من قبل الله تعالى (ما أحدثوا بعدك) أي بعد وفاته. (المكاتب)

فأقول أصحابي أصحابي فيقال إنهم لم يزالوا بعدك يرجعون القهقري فأقول بعدا وسحقا فليختاروا الآن ما شاؤوا من هذا الذي شرحناه وبيناه بتوفيق الله سبحانه إما تكذيب أسلافهم في نقلهم الخبر " أصحابي كالنجوم " وإما تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والكفر بالله في الحالين جميعا وإيجاب مفارقة مذهبهم.

وكذلك روايتهم (كفروا عن مساوي أصحابي) هل يجوز عندهم أن تكون لأصحابه مساو فإن قالوا لا بطل خبرهم ولا فائدة فيه وكان قوله عبثا إذ قال كفوا عن مساويهم ولا مساوي لهم ومن نسب إلى رسول الله (ص) العبث كان كافرا بالله ورسوله، وإن قالوا بال كانت لهم مساو قيل لهم فقد بطل عليكم خبركم الأول فيما رويتم أنهم كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وكيف يجوز أن تكون بالمساوي هداية أم كيف يجوز أن تكون الهداية مساوي ألا ترون إلى هذه المحالات التي توردها الحشوية ما أشنعها وأقبحها عند أهل النظر والفهم والاجماع منهم واقع على أن سعد بن عبادة كان سيد الأنصار ومن جملة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبلغ لأبي بكر ولا لعمر ولا قال بإمامتهما بل أظهر الخلاف عليهما والانحراف عنهما فلو اقتدى به مقتد في ترك القول بإمامتهما كان مهتديا فإن منعوا ذلك بانت فضيحتهم في خبرهم، وإن أجازوه أباحوا الجحود لإمامة أئمتهم وكفى بذلك خزيا.

وأما ما رووا " إن خير أمتي القرن الذي في عصري ثم الذين يلونهم إلى آخره ثم الذين يلونهم الأعصار " (١) فنقول وبالله التوفيق هذا مخالف

---

١ " هذا الحديث رواه السيوطي في الجامع الصغير في باب الخاء بوجوه مختلفة تارة بلفظ خير الناس قرني ثم الثاني ثم الثالث ثم يجئ قوم لا خير فيهم، وقال رواه الطبري في الكبير عن ابن مسعود. وأخرى بلفظ خير الناس قرني الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم والآخرون أراذل وقال رواه الطبراني والحاكم عن جعدة بن هبيرة وقال حسن (وثالثة) بلفظ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسنمون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يسألوها، وقال رواه الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين، وقال صحيح، انظر شرح هذا الحديث بوجوهه المختلفة وألفاظه المتفاوتة في فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٣ ص ٤٧٩ طبع مصر. (الكاتب)

للحقايق خارج عن العدل والحكمة وذلك إن كان فضلهم من جهة تقديم خلقهم في الأزمنة المتقدمة لما بعدها فقد زعموا أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأمم التي مضت قبلها وأن محمدا (ص) أفضل الأنبياء الذين تقدموا قبل عصره وكان الواجب على طرد هذه العلة أن تكون كل أمه أفضل من التي بعدها فلما أوجبوا أن آخر الأمم ممن تقدمه كان لا معنى لهذا الخبر في تفضيل القرن الأول على القرن الثاني من هذه الأمة بل يجب في النظر والتمييز ما يلزم من نقل الناس من سيرة من تقدم عصرنا هذا أن يكون من تأخر عنهم أفضل ممن تقدمهم منهم، وذلك إنا وجدنا القرن الذي كانوا في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والقرن الذي كانوا بعدهم والقرن الثالث ممن كانوا في عصر الفراعنة والطواغيت من ملوك بني أمية الذين كانوا يقتلون أهل البيت عليهم السلام ويسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويلعنونه على المنابر وأهل عصرهم من فقهائهم وحكامهم إلى غير ذلك منهم لهم متبعون وبأفعالهم مقتدون وبإمامتهم قائلون ولهم معينون بوجوه المعونة من حامل سلاح إلى حاكم خطيب إلى تاجر إلى غير ذلك من صنوف الأمة وأسباب المعونة، ولسنا نجد في عصرنا هذا من كثير من أهله من ذلك شيبا بل نجد الغالب على عصرنا هذا الرغبة عن ذلك والذم لفاعله والتنزه عن كثير منه إلا لمن يظهر لمذهبه بينهم فيجب أن يكونوا في حق النظر أفضل من أهل ذلك العصر

الذي كانت هذه صفتهم، فإن قالوا إن أهل عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأجل مشاهدتهم له ومجاهدتهم معه كذلك سبيل من شاهدهم لأجل مشاهدتهم له ومجاهدتهم معه وكذلك من شاهدهم من بعد الرسول (ص) السائقين إلينا العلوم والأخبار عنهم ومنهم قيل لهم أليس كل من تقدم خلقه في ذلك العصر فهو فعل يحمد عليه إلا يذم عليه فلا بد من قولهم نعم، فيقال أفتقولون إن الله يحمد العباد على أفعالهم ويذمهم عليها فإن قالوا ذلك جهلوا عند كل ذي فهم وكفى الجهل لصاحبه خزيا وإن قالوا لا قيل لهم إذا كان ذلك كذلك وجب في حق النظر أن يكون من شاهد الرسول (ص) ورأى دلائل العلامات والمعجزات وظهر له البرهان واسفر له البيان ونزل بمشهد منه القرآن لا عذر له في تقصير عن حق ولا دخول في باطل فإن الحجة في ذلك ألزم عليه وأوجب وكان من أشكل عليه منهم شئ في تفسير آية وتحقيق معنى في كتاب الله وسنة رسوله رجع في ذلك إلى الرسول (ص) فأثبت له الحق فيه واليقين ونفى عنه الشك والزيغ فمن قصد منهم بعد هذه الحالة إلى الخلاف الواجب كان حقيقا على الله أن لا يقبل له عذرا ولا يقبل له عثرة ومن كان في مثل عصرنا هذا الذي اختلفت فيه الأقاويل وتضادت المذاهب وتشتت الآراء وتباينت الأهواء وتماحلت المعارف ونقضت البصائر وعدمت التحقيقات إذ ليس من يرجع الله بزعم أهل الغفلة ممن صفته في تحقيق الأشياء صفة الرسول (ص) فيثبت لنا اليقين وينفي عنا الشك، حقا أقول لو أوجبت أن من ارتكب من أهل هذا العصر مائة ذنب أعذر ممن ارتكب في ذلك العصر ذنبا واحدا أو لو قلت أن من استبصر في هذا العصر في دينه وشغل نفسه بمعرفة بصيرته حتى علم من ذلك ما نجاه بتوفيق الله له فيما ينبغي له من الطلب أفضل من عشرة مستبصرة كانوا في كذلك العصر لقلت حقا ولكان صدقا إذا كان الحال على ما وصفت فيجب على هذه

الصفة أن يكون مستبصرنا أفضل من مستبصرهم إذ كان البرهان قد قطع عذرهم والبيان قد أزاح علتهم بقرعه أسماعهم صباحا ومساء ومشاهدتهم إياه بأبصارهم من غير تكلف منهم في طلبه، وذلك كله معدوم في عصرنا بل نشاهد من الجهل ونباشر من وجوه الباطل ما يضل فيه ذهن الحكيم ويطيش فيه قلب العليم ويذهل معه قلوبهم وتزول منه أفهامهم حتى يسعى المساعي منا دهرا طويلا يقطع المسافة البعيدة والبلدان النائية يتذلل للرجال ويخضع لكل صاحب مقال فإما أن يهلك ولم يدرك البغية وإما أن يمن الله عليه بالبصيرة بعد جهد جهيد وعناء شديد وتعب كديد بقية المستبصرين وحرب العارفين من أظهر ذلك الظالمين وكشفه المراعنين، فأي ظلم أم أي جور أبين من تفضيل أولئك بما وصفناه من حالهم وحالنا وجور من يوجب عذر أولئك فيما ارتكبوه دوننا، وكم بين من استبصر في دينه ببصيرة يزول معها كل شك ويثبت معها كل يقين من بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم المرسل وبرهان الكتاب المنزل وبين من استبصر في دينه بأخبار متضادة وأقاويل مختلفة وبيان غير شاف وبرهان غير كاف حتى يطلب ويميز وينظر ويعتبر ويختبر سهر ليله وضمان نهاره وتعب بدنه وتصاغر نفسه وتذلل قدره فهل هذا إلا جور من قائله وظلم ظاهر من موجبه حقيق على الله أن يوجب لمستبصري أهل هذا العصر بما وصفناه من أحوالهم، فلا يبعد الله إلا من ظلم وقال بما لا يعلم فإن قالوا إن الله عز وجل قال في كتابه (والسابقون السابقون أولئك المقربون) فقيل لهم قد قال الله ذلك وصدق عز وجل والأمر في ذلك بين واضح والحكمة فيه مستقيمة وذلك أن السابق فيه لا يجوز في الحكمة أن يقع في الإيمان إلا بين أهل العصر الحاضر أين الشاهدين لندب الداعي لهم إلى التسابق ومحال في الحكمة وفي العدل أن يسابق الله وبين قوم لم يخلقهم، هذا ظاهر الفساد بين من الرشادين المحال فظيع المقال لكنه سبحانه وتعالى سابق بين الحاضرين من أهل عصر الرسول

(ص) ولعمري أن من سبق منهم إلى الإيمان أفضل وأجل وأقرب منزلة وأعلى درجة ممن لحق من تقدمهم وما ينكر هذا ذو فهم ولكن المنكر قول من زعم أن الله سابق بين من خلق وبين من لم يخلق فمن قال إن الصحابة سبقونا بالإيمان يريد بذلك تقدمهم في عصرهم وتأخر عصرنا عن عصرهم فما قدم الله من خلقهم وآخر من خلقنا فذلك كلام صحيح وقول فصيح كما إن من تقدم أيضا من الأمم في الأعصار التي كانت قبل الصحابة كانوا متقدمين على الصحابة بأعصارهم سابق من آمن منهم لمؤمنين للصحابة وتقدم خلقهم عليهم وليس في ذلك فضل لهم على من جاء بعدهم ومن قال إن الصحابة سبقونا بالإيمان بمعنى التسابق بيننا وبينهم إلى الإيمان وكان لهم بسبقهم ذلك فضل علينا لأجل تأخرنا عنهم كان هذا قولا محالا شنيعا لأن تأخرنا عن عصرهم من فعل الله لا من فعلنا والله لا يذمنا إلا على أفعالنا، ولو كان للصحابة علينا فضل في إيمانهم بتقدمهم علينا في الأعصار والخلق لوجب على هذه القصة أن يكون إيمانهم من تقدمهم من الأمم السابقة أفضل من إيمانهم بتقدمهم عليهم في الأعصار فلم كانوا يمنعون ذلك ويحبون الفضل لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على من تقدمهم ولو كان فاسدا إيجابهم تفضيل أوائل الأمة على أواخرها وهذا مما لا نطلقه في مذهبنا لكنا نقول أن أهل كل عصر يتفاضلون بينهم فمن سبق منهم إلى الإيمان فهو أفضل ممن تأخر عنه ثم لحق بالسابق فيه من أهل عصره ولسنا نفضل أهل كل عصر على من جاء بعدهم في الأعصار المتأخرة عمن تقدمهم لكنا نفضل بين أهل كل عصر بعضهم على بعض فمن سبق منهم إلى الإيمان كان أيضا نقول في عصر الصحابة أن أهله كانوا متفاضلين بعضهم على بعض بما وصفناه من السبق إلى الإيمان دون أن يكونوا فاضلين على من تقدمهم ولا على من تأخر منهم.

وقد احتج المجادلون بقول الله تعالى (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) فيقال أليس قد أوجب على من جاؤوا من بعدهم الاستغفار لمن تقدمهم. قيل لهم ضل عنكم معرفة مواطن التنزيل ومعالمه فضللتم أيضا عن معرفة التأويل وحقائقه (١) وهذا إخبار من الله عز وجل لا إيجاب وذلك أنه وصف الصحابة على منازل ثلاث منهم المهاجرون والأنصار، ثم الذين أسلموا ولم يكونوا من المهاجرين ولا من الأنصار من أهل البوادي والبلدان الذين أسلموا وأقاموا في بلدانهم كما قال الله عز وجل (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم في ولايتهم من شي حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) كذلك أيضا قال في الآية الأولى يخبر عن الذين أسلموا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل لهم حظوظهم في الفئ والصدقات فبدأ بذكر المهاجرين ثم ثنى بالأنصار ثم ثلث بذكر الذين ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار فقال عز وجل (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون

---

(١) قال السيد الشريف المرتضى علم الهدى رحمه الله في الشافي ص ٢٢٠ وتلميذه شيخ الطائفة الطوسي الغروي رحمه الله في تلخيص الشافي ص ٤٢٦ والعبارتان متحدتان (ونصهما) أما قوله تعالى والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان فلا حجة فيه لهم لأنه علق المغفرة بالسبق إلى الإيمان وهذا شرط يحتاج إلى دليل في إثباته للجماعة ومع هذا فهو سؤال وليس كل سؤال يقتضي الإجابة.
" الكاتب "

في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ثم ذكر الذين ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار فقال عز وجل (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) فهذا كله لأهل العصر من عصر الصحابة كما قال عز وجل في ذكرهم أيضا في سورة التوبة (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) يعني الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الشعب والذين تابعوهم من الأنصار في العقبة. ثم قال عز وجل (والذين اتبعوهم بإحسان) يعني الذين اتبعوا من المهاجرين والأنصار ومن أسلم من سائر البلدان من جميع أهل ذلك العصر لأنه خلط معهم أهل عصر آخر ولم يكونوا بعد خلقوا لأن هذا حال لا يجوز أن يقع فيه التساوي بين السابق والمسبوق ممن خلق ممن لم يخلق على ما بينا من الشرح والبيان.

فهذا ما يتعلق به أهل الغفلة ويحتج به أهل الضلالة والجهالة من تخرصهم وافترائهم وكذبهم على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد شرحنا من فساده وأوضحنا من بطلانه ما فيه كفاية ومقنع

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

تم كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة

وقد كتب على نسخة كتبها بخطه

اسفنديار بن سلام الله

الحسني الحسيني الطباطبائي

رحمه الله في شهر رمضان

سنة ١٠٤٨

هجرية